المتوسط وافريقيا ، ولا سيما فى جيبوتى فى شمالها الشرقى .

وكان هدف الامبريالية الفرنسية فى هذه المنطقة هو التوغل فى الحبشة وايجاد رأس جسر لمواصلة التوسع باتجاه السودان .

وكانت الاوساط الحاكمة البريطانية تخشى تغلغل فرنسا فى السودان وتفضل وجود ايطاليا الضعيفة فى هذه المنطقة بدلا من فرنسا القوية . ولذا وافقت بريطانيا على ان تحول ايطاليا منطقة عصب التى تمتلكها منذ عام ١٨٦٩ على الساحل الغربى من البحر الاحمر الى مستعمرة لها .

وكانت انتفاضة الشعب السودانى ضد الانجليز التى اندلعت فى آب (اغسطس) ١٨٨١ بقيادة محمد احمد «المهدى» والانتفاضة الوطنية فى مصر التى تزعمها عرابى باشا فى ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٨١ حافزا جعل بريطانيا تشجع التوسع الايطالى فى شمال شرقى افريقيا . وكان المستعمرون البريطانيون ينوون من وراء تشجيع مخططات الغزو الايطالية ان يستخدموا ايطاليا بمثابة حليف هم بحاجة ماسة اليه فى فترة اشتداد التناقضات الانكلوفرنسية وتصاعد حركة التحرر الوطنى فى مصر والسودان . وبمبادرة من بريطانيا وقعت فى ١٥ شباط (فبراير) ١٨٨٢ اتفاقية انكلوايطالية بشأن مسألة المعاهدة التى اعترفت بريطانيا بموجبها بعائدية عصب الى ايطاليا .

وبعد الحصول على موافقة بريطانيا سجلت الحكومة الايطالية فى ١٠ اذار (مارس) ١٨٨٢ قانونيا حقها فى ملكية عصب ، وفى ٥ تموز (يوليو) ١٨٨٢ حولت هذه المنطقة الى مستعمرة لها .

ومع ان بريطانيا عززت مواقعها كثيرا فى شمال افريقيا باحتلال مصر فى عام ١٨٨٢ فانها لم تتمكن من تحقيق مثل هذا النجاح فى السودان . فبعد ان تكبد المستعمرون البريطانيون عدة هزائم امام المهديين فى ربيع ١٨٨٤ قرروا اجلاء القوات المصرية من الساحل الغربى للبحر الاحمر جنوبى مصوع التى كان خديوى مصر قد استأجرها سابقا من الاستانة ، وزج تلك القوات لاخماد انتفاضة المهدى . وتقرر ملأ الفراغ هناك بالايطاليين قبل ان يسرع الفرنسيون الى الاستفادة منه . وفى ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ اقترحت بريطانيا على الحكومة

الايطالية ان تستولى على مصوع ، وفى صيف ١٨٨٥ اعلنت السيادة الايطالية على هذا الميناء .

واخذت ايطاليا التى تحظى بتشجيع من بريطانيا توسع باستمرار ممتلكاتها على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ، وفى عام ١٨٩٠ تحولت تلك الممتلكات الى مستعمرة اريتريا الايطالية .

وفى الفترة ١٨٨٥–١٩٠١ فرضت ايطاليا ، بموافقة بريطانيا ايضا ، الحماية على اراضى الصومال الشاسعة ، مما ادى الى حرمان الحبشة من المنافذ الى المحيط الهندى .

ولم يكتف المستعمرون الايطاليون بغزو تلك الاراضى ، بل قرروا بسط نفوذهم على القسم الشرقى من السودان ، الا ان ذلك واجه مقاومة شديدة من جانب بريطانيا التى وقعت فى ١٨٩١ و١٨٩٤ اتفاقيتين مع ايطاليا بشأن تحديد مجالات النفوذ فى شمال شرقى افريقيا . وبموجب هاتين الاتفاقيتين شملت منطقة النفوذ الايطالى اراضى الحبشة واريتريا وقسما كبيرا من اراضى الصومال وقسما غير كبير من السودان المصرى . واعترفت ايطاليا من جانبها بحقوق بريطانيا فى مصر وفى القسم الاكبر من السودان وغرب الحبشة مع بحيرة تانا وروافد النيل * .

وفى ١٨٩٤–١٨٩٦ قام المستعمرون الطليان بمحاولة للاستيلاء على الحبشة وفقا للاتفاقية الانكلوايطالية بشأن مجالات النفوذ . لكنهم واجهوا هزيمة ماحقة فى معركة (عدوة) فاضطروا للاعتراف باستقلال هذه الدولة .

وبعد ان ثبتت ايطاليا مواقعها على الساحل الغربى للبحر الاحمر انخرطت بهمة فى الصراع من اجل اقتسام المستعمرات العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وعندما احتجزت الجمارك العثمانية فى منطقة الحديدة فى عام ١٨٩٩ ثلاثة قوارب شراعية كبيرة تحمل العلم الايطالى كانت قد وصلت محملة بالبضائع المهربة من عصب ارسلت السلطات الاستعمارية فى اريتريا الى الحديدة سفينة حربية طالبت باطلاق

---

* British and Foreign State Papers, vol. 83, pp. 19-21.

سراح المهربين واعادة البضاعة المصادرة ودفع ٨٨٠٠ ريال لهم بشكل تعويض . وفى حالة عدم النزول عند هذه المطالب هدد الطليان بقصف الحديدة بالمدفعية . وايدت الاوساط الدبلوماسية الايطالية افعال سلطات اريتريا وسرعان ما اضطر الاتراك الى التنازل لها وتنفيذ كل المطالب . واستخدمت السلطات الاستعمارية الايطالية حادثة المهربين بمثابة المحك الاول فى سياستها التوسعية فى شبه جزيرة العرب .

وتعززت مواقع الامبريالية الايطالية كثيرا فى شمال شرقى افريقيا بعد اتفاقيات ١٩٠٢ الانكلوايطالية التى اعترفت بريطانيا بموجبها بادعاءات المستعمرين الطليان فى ملكية طرابلس الغرب وبرقة واقدمت على تنازلات فى الاراضى لصالح اريتريا مقابل مشاركة ايطاليا فى اخماد انتفاضة محمد عبد الله فى الصومال . وهيأ ذلك مقدمات معينة للتوسع الايطالى فى شبه الجزيرة العربية .

وفى مطلع القرن العشرين حاول المستعمرون الطليان ان يستفيدوا من تزايد نشاط القراصنة عند سواحل اليمن ليعززوا مواقع ايطاليا فى شبه الجزيرة العربية . واعتبرت السلطات الاستعمارية الايطالية الفارين من اريتريا الى العسير قراصنة ايضا . وعندما شارك اللاجئون الاريتريون مع العرب من قبيلة حوقلى المقيمة قرب ميناء ميدى فى الهجوم على احدى جزر الارخبيل المقابل لميناء مصوع والاستيلاء على بعض القوارب الاريترية ارسلت الحكومة الايطالية فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٢ الى البحر الاحمر عمارة من اربع سفن حربية . ومع ان الطليان اعلنوا ان هدف هذه العملية هو مكافحة القرصنة فقد كانوا فى الواقع يريدون ان يثبتوا اقدامهم على ساحل الجزيرة العربية من جهة ويخمدوا من جهة اخرى الحركة التحررية الاريترية التى التجأ مناضلوها الى عسير . وطالب الطليان السلطات العثمانية بتسليم المهاجرين الاريتريين ، لكن السفن الايطالية قصفت ميدى بوحشية مع ان السلطات العثمانية سلمت اولئك المهاجرين . وهكذا غدت الاعمال العدوانية التى اقدمت عليها ايطاليا فى ١٨٩٩ و١٩٠٢ بداية للتوسع الايطالى المرتقب فى شبه الجزيرة العربية .

وكان عدم التناسب بين مطامع الامبريالية الايطالية

وامكانياتها الاقتصادية قد ترك اثرا سلبيا فى السياسة الخارجية الايطالية حيث طبعها بطابع المغامرة والعدوان . وكان من نتائج هذه السياسة استيلاء ايطاليا على طرابلس الغرب وبرقة وجزر دوديكانيز ابان الحرب الايطالية التركية ١٩١١-١٩١٢ .

وفى فترة الحرب العالمية الاولى لم تقم ايطاليا بنشاط يذكر فى شبه جزيرة العرب بسبب انشغالها بالعمليات فى الجبهة الاوربية . اما بريطانيا التى توقعت سقوط الامبراطورية العثمانية فقد اتخذت ، كما اسلفنا ، عدة اجراءات وقائية تهدف الى ازالة امكانية تغلغل الدول الغربية الاخرى ، بما فيها ايطاليا ، فى شبه الجزيرة العربية . ومع ذلك ادى خطر التدخل الايطالى الى اجراء تعديلات معينة على السياسة البريطانية فى البحر الاحمر . ففى شباط (فبراير) ١٩١٥ وافقت وزارة الخارجية ، لتسبق ايطاليا ، على احتلال جزيرة كمران الهامة استراتيجيا والواقعة مقابل الساحل اليمنى . علما بان العملية كلها كانت مخططة على نحو يستبعد اية مشاركة فيها من جانب ايطاليا * . وفى حزيران (يونيو) ١٩١٥ احتلت قوات الانزال البريطانية جزيرة كمران دون ان تواجه مقاومة من جانب المستخدمين العثمانيين الستة الذين كانوا يخدمون مركز الحجر الصحى فى الجزيرة ** . وكان ابقاء القوات فى هذه الجزيرة شبه الصحراوية عبئا ثقيلا على الانجليز فى زمن الحرب ، ولذا قرروا اجلاءها . الا ان السلطات الاستعمارية البريطانية تباطأت فى اجلاء القوات خشية احتلال كمران من قبل ايطاليا ، بل استأجرت عددا من عرب كمران وطلبت منهم ان يرفعوا العلم البريطانى لدى ظهور السفن الحربية الاجنبية وخصوصا الايطالية *** .

وفى ٢٩ كانون الثانى (يناير) ١٩١٧ جرى اشعار السفارة الايطالية فى لندن من خلال الامير بورغيزى بان العلم البريطانى

---

* Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 227.

** كان العثمانيون قد افتتحوا مركز الحجر الصحى فى عام ١٨٨٠ للحجاج القادمين الى مكة عن طريق البحر الاحمر .

*** Op. eif, pp. 228-230.

رفع فى جزر فرسان وجزيرة كمران «لصالح الادريسى» * .

وبيّن المؤرخ السوفييتى المعروف الاكاديمى روتشتين بمنتهى البساطة والوضوح الهدف من هذه الاعمال التى اقدمت عليها الادارة البريطانية وكانت جزءا لا يتجزأ من تكتيك المستعمرين عموما واستراتيجيتهم الشاملة . فقد كتب روتشتين يقول : «الاراضى التى كان يدور النزاع بشأنها لم تكن فى الغالب تتسم بأية اهمية اقتصادية . فهى مستنقعات وصحار خالية من البشر والمزروعات ، لكنها كانت ضرورية لهذا الطرف او ذاك لتكون حلقة وصل بين مختلف البقاع او حاجزا يعيق تقدم المنافسين صوب الاراضى التى تروق لهم . ولا يندر ان تبقى الاراضى التى يرفعون فوقها هذا العلم «الوطنى» او ذاك دون احتلال» ** .

وكان رد فعل روما سلبيا على التحالف بين بريطانيا والادريسى . فقد حاولت الاوساط الحاكمة الايطالية ان تنتهز اية فرصة لتعيق التقارب بين الادريسى والانجليز . فلأن الادريسى ، مثلا ، يستخدم بالاساس السلاح الايطالى ، رفض الطليان طلب بريطانيا بيع كمية معينة من العتاد الى الادريسى . وكان هذا الرفض المتعمد قد حمل الانجليز على ارسال كمية كبيرة من البنادق والعتاد البريطانى الى الادريسى *** .

وفى عام ١٩١٥ وجدت الاوساط الحاكمة البريطانية ضرورة للاعتراف «بحق» الادارسة فى جزر فرسان التى حرروها من الاتراك فى كانون الثانى (يناير) من العام نفسه . بديهى ان بريطانيا لم تكن مستعدة للقيام بهذه الخطوة الا بتوفر ضمانات اكيدة من جانب الادريسى وتعهده بالا يقدم هذه الجزر فى المستقبل الى اية دولة اخرى **** .

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27. No 15, encl. 1 to No 1.

** روتشتين . العلاقات الدولية فى نهاية القرن التاسع عشر ، موسكو – لينينغراد ، ١٩٢٠ ، ص ١٠٢ (باللغة الروسية) .

*** Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 229.

**** Ibid., p. 328.

وكان السبب الاول لهذا القرار هو الخوف من احتلال ايطاليا للجزر المذكورة ، الامر الذى يشكل خطرا على المواصلات البريطانية فى البحر الاحمر لقلة القوات البريطانية عموما فى حوض هذا البحر . وكانت اتفاقية ٢٢ كانون الثانى (يناير) ١٩١٧ بين الانجليز والادريسى قد تضمنت شروط تسليم جزر فرسان نهائيا الى الادارسة ، وبذلك انجزت الصفقة بين حاكم الصبية والسلطات الاستعمارية البريطانية * . وقد جاءت هذه الاتفاقية فى الوقت المناسب تماما ، وكانت اجراءات الدبلوماسيين البريطانيين مجدية . ففى نفس اليوم الذى وقع فيه الصلح الذى الزم تركيا بترك الجزيرة العربية ووادى الرافدين والشام وارمينيا وجزء من قيليقيا اعلنت ايطاليا عن حقها فى جزر فرسان . وفى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ بعثت الحكومة الايطالية مذكرة الى لندن اعلنت فيها «ان جزر فرسان الواقعة قرب ساحل عسير يجب ان تحتل من قبل ايطاليا ، لان ايطاليا دولة اسلامية تمر حدودها عبر البحر الاحمر» ** .

وتحججت بريطانيا فى رفض الادعاءات الايطالية باتفاقية ١٩١٧ بين الانجليز والادريسى والتى نصت على ان جزر فرسان لم تعد حقوقيا من ممتلكات تركيا المغلوبة ، بل تعود لحاكم عسير الادريسى . وبهذه الصورة استخدم الانجليز الادريسى الذى نعتته الاوساط الاستعمارية البريطانية «بالدعى» وسيلة لمواجهة ايطاليا حسب اعتراف الانجليز انفسهم *** .

وهكذا ففى سياق الحرب العالمية الاولى توقعت بريطانيا نشوب الصراع من اجل التركة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية فحاولت ان تنصب «حاجزا» يعيق التغلغل الايطالى فى

---

* Aitchison C. U. A Collection of Treaties . . . , vol. 13, pp. 178-179.

** Baldry J. The Powers and Mineral Concessions in the Idrisi imamate of Asir (1910-1929)-Arabian studies, 2, London, 1975, p. 79.

*** Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 239.

شبه الجزيرة . ومن مقومات هذا «الحاجز» جزيرة كمران وجزر فرسان المطلة على منافذ الساحل اليمنى ، وكذلك الساحل نفسه الذى يسيطر عليه الادارسة . الا ان نصب ذلك «الحاجز» اخفق بالاساس لان الدبلوماسيين البريطانيين لم يتمكنوا من استمالة امام الزيدية يحيى . وهذا ما يشير اليه ، مثلا المؤرخ الاميركى برايتون بوش الذى استشهد بوثائق ارشيفية بريطانية غير منشورة واكد ان احد الاسباب الرئيسية لسعى بريطانيا الى التحالف مع الامام يحيى هو خشية الاوساط الحاكمة البريطانية من احتمال توغل ايطاليا فى اليمن ، ولا سيما جزر فرسان الواقعة عند الساحل اليمنى * .

كانت الاجراءات الوقائية التى طبقتها بريطانيا ضد ايطاليا فى حوض البحر الاحمر جزءا من السياسة التى طبقها الدبلوماسيون البريطانيون فيما وراء الكواليس ازاء ايطاليا . فلئن كانت شروط معاهدة لندن لعام ١٩١٥ قد صيغت ، بسبب الموقف الحربى انذاك ، على اساس مبدأ التكافؤ التام لايطاليا بين الحلفاء ، فقد حاولت بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الاولى ان تحولا دون تعزز مواقع ايطاليا فى البحر الابيض المتوسط وقد ركزتا كل جهودهما على تقييد المطامع الاقليمية للامبريالية الايطالية الى اقصى حد . وفى مؤتمر باريس لم تنفذ اغلبية الوعود التى تعهد بها الحلفاء لايطاليا فى معاهدة لندن وفى اتفاقية سان جان ديمورين (١٩-٢١/٤/١٩١٧) . وشعرت الامبريالية الايطالية بانها «المغلوبة بين الغالبين» . وبالاضافة الى الضحايا البشرية الجسيمة ودمار المحافظات الشمالية الخصبة وفقدان ٦٠٪ من الاسطول التجارى الايطالى اتضح ان ايطاليا مدينة لحلفائها — لبريطانيا اساسا (٥ر٢ مليار ليرة) وللولايات المتحدة الاميركية (٥ر١ مليار ليرة) . ولئن كانت للامبريالية البريطانية مصلحة فى الابقاء على الوضع القائم فى البحر الابيض المتوسط وآسيا وافريقيا بعد الحرب العالمية الاولى فان الامبريالية الايطالية ، على العكس ، كانت تسعى الى تغيير ذلك الوضع لصالحها وتعمل بمزيد من الهمة والنشاط فى هذا

* Ibid., p. 237.

الاتجاه . وقد حاول المستعمرون الايطاليون الذين لم تعجبهم نتائج التقسيم الاستعمارى للعالم ان يتوصلوا الى اعادة توزيع المستعمرات ومناطق الانتداب وطالبوا باسواق التصريف ومصادر الخامات . وكانت ايطاليا تؤمل فى الحصول على اكبر لقمة ممكنة من «كعكة الاستعمار» ، فحاولت بكل الوسائل ، رغم معارضة بريطانيا ، ان تثبت مواقعها على ساحل البحر الاحمر الشرقى . فان تعزيز المواقع الايطالية فى عسير واليمن ، اى عند المنفذ الجنوبى من البحر الاحمر الذى يتسم بأهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لبريطانيا قبل غيرها ، وتأجيج الميول المناهضة لبريطانيا بين سكان اليمن ، من شأنهما ان يمكنا ايطاليا فى الوقت اللازم من ممارسة الضغط على لندن والحصول منها ، لقاء تنازلات معينة ، على تعويضات مناسبة فى مناطق اخرى (البحر الابيض المتوسط والحبشة وشمال افريقيا) ، حيث مصالح الامبريالية الايطالية اكبر .

فى البداية كان المستعمرون الايطاليون ينوون ترسيخ اقدامهم فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة الادارسة حلفائهم من عهد الحرب العثمانية الايطالية ١٩١١-١٩١٢ . وفى عام ١٩٢١ بعث حاكم اريتريا الى محمد الادريسى عدة رسائل وهدايا من بينها سيارة مؤملا فى الحصول منه على امتيازات للشركات الايطالية ، وخصوصا امتياز التنقيب عن البترول فى جزر فرسان . الا ان الادارسة المرتبطين مع بريطانيا بالتزامات تعاقدية لم يستجيبوا لمغازلات حاكم اريتريا .

وبدأت المرحلة الجديدة فى السياسة الاستعمارية الايطالية باستلام الفاشيين السلطة فى عام ١٩٢٢ . فقد غدا الفاشيون الايطاليون مساهمين فى اكبر الاحتكارات الصناعية والبنوك وشركات التأمين فى ايطاليا . وكان كبار ممثلى الرأسمال المالى الاحتكارى هؤلاء يملون ارادتهم ويرسمون الاتجاهات الرئيسية فى السياسة الخارجية للدولة الايطالية . واتهم موسولينى كل الحكومات السابقة بالعجز عن الذود عن مصالح ايطاليا فى مؤتمر باريس واعلن عن نهج عدوانى سافر يستهدف بعث الامبراطورية الرومانية وبناء «ايطاليا العظمى» . ونصت مخططات الفاشيين الايطاليين على التوسع فى البحر الابيض المتوسط والشرق

الادنى ، لاسيما اليمن . وبغية تطبيق هذه المخططات اعلن موسولينى ان ايطاليا دولة اسلامية ، لانها تضم اراضى اسلامية مثل ليبيا واريتريا والصومال . وفى مجلس الشيوخ الايطالى نعت موسولينى ايطاليا بانها صديقة العالم الاسلامى التى تدرك دورها كدولة اسلامية عظمى .

وبعد وفاة محمد الادريسى فى ١٩٢٣ صار ابنه على البالغ من العمر سبعة عشر عاما حاكما جديدا للبلاد كما اسلفنا . وبعثت السلطات الاستعمارية فى اريتريا الى عسير فورا ممثلها سيد المرغنى محملا باموال كثيرة . وكسب المرغنى ود الحاكم الشاب على الادريسى بسرعة عن طريق الهدايا الشخصية حتى جعله يوافق على افتتاح قنصلية ايطالية فى الحديدة . ولم يحل دون بقاء الايطاليين فى الحديدة الا مقاومة الاوساط المتنفذة فى امارة الادارسة بدعم من السلطات الاستعمارية فى عدن * .

وعندما اخفق الطليان فى محاولاتهم مع الادريسى قرروا التغلغل فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة امام الزيدية يحيى . وكان الفاشيون الطليان يؤملون فى الاستفادة من التناقضات بين بريطانيا والامام . فقد رتبت ايطاليا اتصالات مع الامام يحيى وصارت تساعده فى مكافحة الادارسة ، الامر الذى اقلق السلطات الاستعمارية البريطانية . لقد ساعد الدبلوماسيون البريطانيون ايطاليا عندما استهدفوا اضعاف مواقع فرنسا ، منافسة بريطانيا ، لكنهم كانوا يعارضون دوما افعال المستعمرين الايطاليين التى تتعارض مع مصالح بريطانيا . الا ان تذمر لندن لم يمنع ايطاليا من تنفيذ مخططاتها التوسعية فى اليمن . فان اشتداد التناقضات الانكلويمنية واخفاق مهمة كلايتون افادا المستعمرين الايطاليين ، فسعوا الى الاستفادة القصوى من الوضع الملائم لهم . وكانت ايطاليا تؤمل فى استخدام نضال الشعب اليمنى لتوحيد البلاد لاغراضها الخاصة فظلت تقدم المساعدات العسكرية للامام .

واستمرت انباء الارساليات الجديدة من السلاح الايطالى الى الامام يحيى تتوارد على لندن اكثر فاكثر . وافاد المقيم

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 206.

البريطانى فى عدن فى تقرير سرى بتاريخ ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٢٦ بان الامام منح ايطاليا احتكار بيع الكيروسين فى اليمن ، وفى مقابل ذلك وعدته ايطاليا بتشكيلة من التجهيزات لصنع العتاد وبست طائرات و٤٩٠٠ صندوق من العتاد و٢٠ مدفعا . وكتب المقيم يقول : «عندما سيصل ذلك كله يتعين على الامام ان يدفع ٣ر٣ ملايين فرنك ويمنح ايطاليا امتياز استخراج الملح فى الصليف» . وحتى نيسان (ابريل) ١٩٢٦ استلم الامام ست طائرات واجهزة لصنع العتاد و٤٥٠ صندوقا من الاعتدة * واخذت اللجنة البريطانية لادارة الاسطول البحرى تبعث المزيد من التقارير الى وزارة الخارجية بشأن نوايا الطليان فى احتلال جزر فرسان بمساعدة الامام يحيى . كما صار الطليان يبدون نشاطا فى منطقة الصليف التى توجد فيها احتياطيات كبيرة من الملح . ونصبوا على الساحل بطارية مدفعية تشرف على الطرق المؤدية الى جزيرة كمران ** . وكان الادريسى الذى تراجعت عساكره تحت ضغط جيش الامام على شفا الهزيمة ، وهذا يعنى بالنسبة لبريطانيا ليس فقط ضياع مراكز استراتيجية هامة بل وتعزز مواقع ايطاليا فى البحر الاحمر . ورأت لندن ان من الضرورى اتخاذ اجراءات عاجلة لدرء العواقب غير المرغوب فيها . ففى ١٦ تموز (يوليو) ١٩٢٦ عقد فى وزارة المستعمرات اجتماع عاجل لممثلى مختلف الوزارات ، وكان ينتظر منه ان يجد الطرق التى من شأنها ان «تعيق الايطاليين عن تعزيز مواقعهم على الساحل الشرقى من البحر الاحمر» *** .

وتوصل المساهمون فى الاجتماع الى استنتاج مفاده ان الاحتجاجات على الحكومة الايطالية وانذار الامام يحيى لا تكفى وحدها للحيلولة دون سقوط امارة الادارسة . الوسيلة الفعالة الوحيدة ، كما اشار الاجتماع ، هى رفع الحظر عن ارسال السلاح الى الادريسى والامام يحيى ، وهو الحظر الذى فرضته حكومات بريطانيا وايطاليا وفرنسا وبلجيكا فى آيار (مايو) ١٩٢٥ . ولذا اتخذ قرار باستئناف تزويد الادريسى بالسلاح من خلال

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 206, encl. 1.

** Ibid., No 245.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 1.

شركة «ايسترن اند جنرال سنديكات» البريطانية التى وقعت فى ٤ ايار ١٩٢٦ اتفاقية امتياز التنقيب عن البترول فى جزر فرسان وامتياز استخراج الملح فى الصليف مع الحاكم الجديد لجنوب عسير حسن الادريسى الذى اطاح بحكم ابن اخيه الشاب على فى شباط (فبراير) ١٩٢٦ * .

وولد توغل ايطاليا فى اليمن مخاوف عند السلطات الاستعمارية البريطانية ليس فقط على مصالحها العسكرية والسياسية ، بل وكذلك الاقتصادية فى البحر الاحمر . وحاول الطليان تشجيع التجارة المباشرة بين الحديدة واريتريا تحت اشرافهم ففتحوا خطوطا للملاحة تربط موانىء اليمن بميناء مصوع وحاولوا الحصول من الامام على احتكار تجارة البن اليمنى ، وهو احتكار نافع جدا . وافاد نائب المقيم البريطانى فى عدن فى تقرير الى لندن بان ضريبة البن المستورد من الحديدة الى مصوع تعادل ١٪ من قيمته ، بينما تبلغ ضريبة البن المستورد من عدن الى جيبوتى ٨٪ . وادى ذلك الى جعل قسم من التجارة التى كانت فى السابق تمر من عدن يتحول الآن الى مصوع ، وهذا يلحق ضررا كبيرا بتصدير البن من خلال عدن ** .

وفى معرض تحليل السياسة الايطالية فى اليمن كتبت «التايمس» اللندنية آنذاك «ان ايطاليا تحاول ، بنجاح على ما يبدو ، ان تحصل على المكانة التجارية التى كان الانجليز يحتلونها قبل ذلك فى جنوب الجزيرة العربية» *** .

وحققت ايطاليا نجاحا كبيرا فى تنافسها مع بريطانيا من اجل النفوذ فى اليمن بتوقيع اتفاقية الصداقة والتجارة مع اليمن لمدة عشر سنوات فى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٦ . واعترفت ايطاليا لاول مرة فى هذه الاتفاقية «بالاستقلال التام المطلق لحكومة اليمن وملكه الامام يحيى» . وتضمنت الاتفاقية شروط التسهيلات التى يتمتع بها الطرفان فى التبادل التجارى وكذلك شروط تقديم المساعدة الايطالية الاقتصادية والفنية الى اليمن **** .

* Survey of international affairs, 1925, vol. 1, p. 322.

** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, encl. 2 to No 69.

*** "The Times", 7.11.1926.

**** امين سعيد . اليمن ... ، ص ٤٥ .

وكان موقف الطرفين من الاتفاقية متباينا . فقد حاول الطليان الاستفادة من نضال الشعب اليمنى العادل ضد بريطانيا لصالحهم واعتبروه وسيلة للتغلغل السياسى والاقتصادى فى شبه الجزيرة العربية ولم يكونوا يسعون ابدا الى تطوير القدرة الدفاعية لليمن . وكان المستعمرون الايطاليون يعتقدون بان اعترافهم ، قبل سائر منافسيهم باستقلال اليمن ، الدولة العربية المستقلة الوحيدة الى جانب دولة ابن سعود ، واقامة العلاقات «الودية» معه يرفعان لدرجة كبيرة المنزلة السياسية لايطاليا فى بلدان الشرق . ونعت موسولينى اليمن بانه «المؤخرة الطبيعية لاريتريا» ، وسعى الى استخدامه بمثابة رأس جسر لتطبيق السياسة التوسعية التى انتهجها الفاشيون الايطاليون ، سياسة «حماية الدول الاسلامية» * .

اما الامام يحيى فقد كان بدوره يأمل فى استخدام الاتفاقية مع ايطاليا لمواصلة توسيع حدود دولته شمالا وجنوبا ، وبالاضافة الى ذلك ، كان يأمل فى استخدام «الورقة الايطالية» للضغط على بريطانيا ** . وكان رد فعل الاوساط الاستعمارية البريطانية على توقيع الاتفاقية الايطالية اليمنية أليما للغاية . فقد افاد نائب المقيم البريطانى فى عدن فى تقريره بان ايطاليا اعترفت من خلال هذه الاتفاقية بالامام يحيى ملكا على اليمن ، واضاف يقول : «من المعروف ان اليمن تضم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية محمية عدن وعدن نفسها ، ويؤكد الامام يحيى كذلك ان عسير وحضرموت جزءان لا يتجزآن من اليمن» . ولذا اقترح نائب المقيم مطالبة الحكومة الايطالية بتدقيق هذه الصيغة لتبديد المخاوف من ان ايطاليا تؤيد ادعاءات الامام فى هذه المناطق الثلاث *** . وبعد مرور اسبوع على توقيع الاتفاقية الايطالية اليمنية (٩ سبتمبر ١٩٢٦) سلمت الحكومة البريطانية السفير الايطالى فى لندن مذكرة بشأن النشاط الايطالى فى شبه الجزيرة العربية ، مما يدل على ان النزاع المحلى انتقل الى صعيد السياسة

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 170.

** Philby H. Arabia . . ., p. 334.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 166.

الكبرى . واتهمت المذكرة الحكومة الايطالية بخرق اتفاقية حظر تزويد الادريسى والامام يحيى بالسلاح . واعادت الحكومة البريطانية الى الاذهان التزاماتها بالدفاع عن جزر فرسان وساحل البحر الاحمر العائد للادارسة دون «الاعمال العدائية» واعلنت بانها مضطرة الى السماح لاحدى الشركات البريطانية بتزويد الادريسى بالسلاح . وجاء فى المذكرة : «تفيد المعلومات الواردة ان ايطاليا لا تكتفى بتشجيع الامام فى خلافه مع الادريسى بل تدعمه بنشاط . ويمكن ان ينشأ بسهولة وضع يتحول فيه الخلاف بين الادريسى والامام الى تصادم بين المصالح البريطانية والايطالية ، وهذا يترك اثرا سياسيا سلبيا على العلاقات عموما بين كلا البلدين . وتأمل حكومة صاحب الجلالة ان السيد موسولينى يتفهم هذا الخطر المحتمل ويوافق على ضرورة درئه عن طريق تبادل الآراء بصراحة بين الحكومتين الايطالية والبريطانية» * .

وفى اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٢٦ جرى فى روما لقاء بين موسولينى ووزير الخارجية البريطانى شمبرلين . وكانت مسألة اليمن من المواضيع التى طرحت فى هذا اللقاء . واهاب شمبرلين بموسولينى للعمل على درء النزاع المحتمل بين بريطانيا وايطاليا والذى يمكن ان ينشب بسبب عسير واليمن .

وبنتيجة هذا اللقاء تمكن موسولينى من الحصول على موافقة شمبرلين على توفير درجة معينة من مشاركة ايطاليا فى شؤون الجزيرة العربية . الا ان هذا اللقاء ، كما بينت الاحداث اللاحقة ، لم يسفر عن تسوية التناقضات الانكلوايطالية فيما يخص اليمن .

وفى الوقت الذى ازداد فيه التوتر فى العلاقات الانكلوايطالية بسبب اليمن وراحت روما ولندن تتراشقان بالاتهامات طرد اليمنيون (فى خريف ١٩٢٦) الادارسة كليا من الاراضى اليمنية الشمالية ودخلوا جنوب عسير وحاصروا مدينتى الصبية وجيزان .

وقد توقع حسن الادريسى الهزيمة المحتمة فوقع فى ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ اتفاقية مع ابن سعود اعترف فيها

* Ibid., encl. 1.

بسيادة السعودية على جنوب عسير * . وكانت دولة ابن سعود ، شأن اليمن ، تطبق سياسة مستقلة ، ولم تعد العوبة بيد الدول الاستعمارية ، بل صارت تلعب دورا جديدا فاعلا فى العلاقات الدولية . وبعد توقيع الاتفاقية بعث ابن سعود نسخة منها الى الامام يحيى وطالبه بوقف العمليات الحربية ضد الادارسة الذين صاروا من الآن فصاعدا تحت حمايته ** . وادرك الامام يحيى استحالة خوض الحرب ضد ابن سعود فى الشمال وضد بريطانيا فى الجنوب فى وقت واحد فقرر ان يتراجع مؤقتا . وكانت الاتفاقية السعودية الادريسية قد نصت على ان ينتقل الى ابن سعود الاشراف على التجارة الخارجية لجنوب عسير ، بما فى ذلك منح الامتيازات . واحتفظ حسن الادريسى بالاستقلالية فى الشؤون الداخلية لامارته *** .

ولم تعرف الدول الغربية بمضمون هذه الاتفاقية الا بعد ان نشر نصها الكامل لاول مرة فى جريدة «ام القرى» السعودية فى السابع من كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ . ولم يكن المستعمرون الايطاليون يعرفون بعد ان ابن سعود ، وليس الادريسى ، صار من الآن فصاعدا صاحب كل الامتيازات فى جنوب عسير ، فحاولوا شراء ذمم شيوخ جزر فرسان للحصول على امتياز التنقيب عن البترول فى الجزر المذكورة . ولهذا الغرض ارسلت سلطات اريتريا فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٦ ممثلا عنها الى هذه الجزر وزودته بمبلغ كبير من النقود . الا ان محاولة شراء ذمم الشيوخ اخفقت بسبب تشدد الادارسة **** . واثارت تصرفات الطليان هذه قلقا متزايدا لدى الاوساط الاستعمارية فى بريطانيا . فقد اشارت وزارة المستعمرات فى مذكرة سرية بتاريخ ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٦ الى ان من اكبر مهمات السياسة البريطانية فى شبه الجزيرة العربية «زحزحة الطليان من خليج كمران ومن

* NAI, Arabia series, part 5, No 117.

** وهبة حافظ . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٧٦ ؛ شرف الدين . اليمن . . . ، ص ٢٧٩ .

*** NAI, Arabia series, part 5, N° 117.

**** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 66, 109, 157.

جزر فرسان ان امكن» . وجاء فى المذكرة ان بريطانيا لا تستطيع ان تتدخل فى النزاع بين الامام يحيى والادريسى لان ذلك ينطوى على خطر الصدام المباشر مع ايطاليا * .

وفى ظروف التقارب العام الذى ارتسم بين بريطانيا وايطاليا بنتيجة اشتداد التناقضات الانكلوفرنسية فى اواسط العشرينات ، كانت لندن تؤمل فى استخدام الفاشية الايطالية كمعقل هام ضد القوى الثورية فى اوربا وكوسيلة لمقاومة النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط ، ولا تفضل تأزيم العلاقات مع موسولينى بسبب اليمن . ولذا اقترحت بريطانيا على ايطاليا اجراء لقاء لتسوية التناقضات التى نشأت بين البلدين فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر ** .

ولم يكن تعقد العلاقات الانكلوايطالية لاحقا يستجيب لمصالح الامبريالية الايطالية التى كانت تؤمل فى استخدام اليمن قطعة نقدية لا اكثر للمبادلة فى التساوم مع «حليفتها» القوية . ولذا اعربت الحكومة الايطالية عن موافقتها على اللقاء الانكلوايطالى فى روما .

واشار توجيه شمبرلين للجنرال كلايتون الذى كان مقررا ان يمثل الحكومة البريطانية فى روما الى ان اللقاء المرتقب ليس من قبيل المفاوضات ويجب ان يجرى على سبيل تبادل الآراء . وجاء فى التوجيه : «لا موجب لتوقيع اتفاقية رسمية مع ان نتائج المناقشات يجب ان تسجل فى محضر» *** . واعلن كلايتون وهو ينفذ توجيه حكومته فى لقاء روما الذى بدأ فى ١١ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ ان بريطانيا لن تسمح بتغلغل اية دولة بحرية فى

* Ibid., No 83-a.

** لقد ساعدت زيارتا شمبرلين وشرشل الى روما لدرجة كبيرة على التقارب الانكلوايطالى بعد مؤتمر لوكارنو . ففى شباط (فبراير) ١٩٢٦ قدمت بريطانيا الى ايطاليا عدة تسهيلات فى تسديد ديون الحرب العالمية الاولى . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٦ وقعت اتفاقية انكلوايطالية وافقت بريطانيا بموجبها على اعادة توزيع مناطق النفوذ فى الحبشة لصالح الامبريالية الايطالية . ومكن تأييد بريطانيا ايطاليا من تنشيط السياسة التوسعية الايطالية فى البلقان .

*** Ibid., No 66.

ساحل البحر الاحمر الشرقى ، لا سيما جزر فرسان وجزيرة كمران . واعرب كلايتون الى الوفد الايطالى الذى ترأسه حاكم اريتريا غاسبارينى عن «قلق» حكومته من ان الخلاف بين الامام يحيى والادريسى الذى يؤيده ابن سعود ، على ما يبدو ، يمكن ان يؤدى الى تعقيد العلاقات بين ايطاليا وبريطانيا ، لان ايطاليا وقعت اتفاقية الصداقة مع امام اليمن ، فى حين توجد علاقات تعاقدية بين بريطانيا والادريسى صاحب جزر فرسان * .

الا ان غاسبارينى حاول ان يبرر افعال ايطاليا فى شبه الجزيرة العربية فاعلن بانه لا يرى ما يشير الى خطر اصطدام مصالح بريطانيا وايطاليا فى البحر الاحمر ، لان المصالح البريطانية فى هذه المنطقة سياسية فى اغلبها ؛ بينما مصالح ايطاليا اقتصادية صرف من حيث طابعها وهى ترتبط بمهمات تطوير مستعمرة اريتريا الايطالية التى لا تزال عاجزة عن تأمين كل ما تحتاج اليه بنفسها . وتشكى الوفد الايطالى من «بؤس» اريتريا التى «تتميز العلاقات التجارية بينها وبين جزر فرسان بأهمية حيوية بالغة» وحاول الحصول على اعتراف بحق ايطاليا فى المشاركة مع بريطانيا فى امتياز استثمار بترول هذه الجزر . الا ان كلايتون انتهز فرصة كون المشاركين فى اللقاء قد اطلعوا لاول مرة فى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ على مضمون الاتفاقية السعودية الادريسية التى يستفاد منها ان البت فى مسائل الامتيازات يعود من الآن فصاعدا الى ابن سعود وليس الى الادريسى ، فاقترح تأجيل مسألة مشاركة ايطاليا فى الامتياز الى اجل غير مسمى ** .

وكان واقع اطلاع الدول الغربية على نص اتفاقية ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ فى كانون الثانى من العام التالى وكون كلايتون بعد هذا النبأ غير المتوقع اعلن بانه يجب ان يرتحل الى لندن لتلقى تعليمات جديدة «بسبب تبدل الموقف المرتبط بنشر

* Ibid., encl. to No 111.

** Ibid.

هذه الاتفاقية» يدلان على ان ابن سعود اتخذ بنفسه قرار حماية عسير *.

وبعد الاخفاق فيما يخص جزر فرسان حاول الطليان ان يجعلوا بريطانيا توافق ، على الاقل ، على تعيين طبيب ايطالى بين العاملين فى مركز الحجر الصحى فى جزيرة كمران ، متصورين بان ذلك يمكن ان يتخذ فى المستقبل ذريعة لادارة هذه الجزيرة بصورة مشتركة ** . وتلقت لندن باستياء نبأ اهتمام الايطاليين بالوضع القانونى لجزيرة كمران . فان بريطانيا لم تكن قد ضمت هذه الجزيرة رسميا ، ولذا فهى ليست ارضا بريطانية ، لان الاستانة بموجب معاهدة لوزان ١٩٢٣ سلمت كل ممتلكاتها فى شبه الجزيرة العربية (بما فيها جزر البحر الاحمر) الى بلدان الوفاق والحلفاء ، وان المادة ١٦ من هذه المعاهدة تنص على ان مستقبل الجزر التى الغى حق الاستانة فيها «ستقرره الاطراف المعنية» *** . الا ان بريطانيا ظلت تسيطر على كمران بلا منازع ولا تسمح «للاطراف المعنية» الاخرى باستخدام هذه الجزيرة . ولذا فعندما عاد كلايتون الى لندن تسلم توجيها من شمبرلين بالقيام بكل ما يلزم لتفادى مناقشة مسألة الوضع القانونى لجزيرة كمران **** . وكان وزير شؤون الهند بيركينهيد يرى ان من الضرورى تماما رفض اقتراح ايطاليا بشأن تعيين طبيب ايطالى بين اطباء مركز الحجر الصحى لانه يعتقد بان ذلك «يمكن ان يؤدى ليس فقط الى ظهور صعوبات فى ادارة الجزيرة ، بل والى طرح مسألة وضع كمران من جديد» ***** .

وفى الجولة الثانية من لقاء روما والتى بدأت فى ٣١ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ اعلن كلايتون استنادا الى المعلومات الاحصائية التى زودته بها لندن ان الحكومة البريطانية ترى ان

---

* Ibid., encl. 4 to No 111.

** Ibid., end. 3 to No 111.

*** فى عام ١٩٤٩ فقط اصدرت الحكومة البريطانية مرسوما نص على ان حاكم عدن هو فى الوقت ذاته حاكم لكمران ، ومع ذلك لم تدرج هذه الجزيرة ضمن محمية عدن ولا ضمن مستعمرة عدن .

**** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 122.

***** Ibid., No 110.

عدد الحجاج من المستعمرات الايطالية ضئيل للغاية ولا يستوجب ادراج طبيب ايطالى ضمن ملاك مركز الحجر الصحى فى كمران . زد على ذلك ان هناك اسبابا سياسية تحول دون ذلك ، كما اضاف كلايتون ، فالدول الاخرى ، ولاسيما فرنسا ، يمكن ان تفسره كخطوة سياسية وتطلب هى ايضا المشاركة فى اعمال مركز الحجر الصحى * .

وفى الجولة الختامية من اللقاء الانكلوايطالى تبادل الطرفان الآراء بخصوص الاتفاقية بين ابن سعود والادريسى . واطلع كلايتون الطليان على نية حكومته فى تأجيل الاعتراف بهذه الاتفاقية الى ابعد وقت ممكن . كما كان موقف الوفد الايطالى من هذه الاتفاقية سلبيا للغاية . فالطليان لم يفقدوا بعد املهم فى اخضاع عسير من خلال الامام يحيى ، ولذا رفضوا رفضا باتا الاعتراف بشرعية الحماية السعودية لامارة الادارسة ** .

واسفر لقاء روما عن توقيع بروتوكول فى ٧ شباط (فبراير) ١٩٢٧ التزم الطرفان بموجبه بالحيلولة دون نشوب نزاعات بين ابن سعود والامام يحيى والادريسى وعدم التدخل فى هذه النزاعات لو نشبت . واعلن البروتوكول عن «الحرية الاقتصادية والتجارية فى ساحل الجزيرة العربية وفى جزر البحر الاحمر لمواطنى ورعايا كلا البلدين» . وصرح الجانب البريطانى بان اهم ما يشغل باله هو «عدم السماح بتمركز اية دولة اوربية فى ساحل البحر الاحمر الشرقى وخصوصا فى كمران وجزر فرسان» . كما اعلن الانجليز ان كمران وجزر فرسان يجب الا تقع فى ايدى حكام عرب غير موالين لهم . واعرب الجانب الايطالى بدوره عن تصريح مماثل تماما فيما يخص ساحل الجزيرة العربية وكمران وجزر فرسان *** .

ومع ان لقاء روما لم يسفر عن تسوية للتناقضات الانكلوايطالية فى المسائل الاساسية الا انه خفف لدرجة ما التوتر الذى نشأ فى العلاقات بين الحليفتين بسبب اليمن . وبين سير الاحداث اللاحق ان النتيجة الجوهرية الوحيدة لهذا اللقاء هى

---

* Ibid., No 124.

** Ibid.,

*** Ibid., No 169.

الاتفاق على «الاتصال الوثيق بين الطرفين فى كل المسائل المتعلقة بالبحر الاحمر وجنوب شبه الجزيرة لتفادى اى سوء تفاهم بين الجانبين» * .

اما ما اعلنه المشاركون فى اللقاء عن الرغبة فى صيانة السلام فى شبه الجزيرة العربية والتزامهم بعدم التدخل فى النزاعات بين الحكام العرب فقد ظل حبرا على ورق . فقد بذلت بريطانيا وايطاليا فى الواقع جهودا كبيرة لتأجيج الحرب بين السعودية واليمن والتى كان يراد لها ، وفق المخططات البريطانية والايطالية ، ان تضعف اقوى ملكين فى الجزيرة العربية وتعزز مواقع الامبريالية البريطانية والايطالية فى حوض البحر الاحمر .

وسعت السلطات الاستعمارية البريطانية عمدا الى التستر على التنافس الانكلوايطالى فى الجزيرة العربية . ولم تكرس للقاء روما الا مقالات مقتضبة فى الصحافة البريطانية اكدت بان اللقاء يتسم بطابع تبادل المعلومات ويتناول بالاساس المصالح الاقتصادية لبريطانيا وايطاليا فى البحر الاحمر ** .

وتجدر الاشارة الى ان المستشرقين لم يكونوا حتى الآونة الاخيرة مطلعين على تفاصيل لقاء روما ، لان المواد الارشيفية الخاصة به لم تكن فى متناول ايدى دارسى هذه القضية . ويعتبر انعدام المراجع هو السبب فى عدم صحة الرأى الوارد فى مؤلفات بعض المستشرقين السوفييت والقائل بان من نتائج لقاء روما فى ١٩٢٧ توقيع اتفاقية انكلوايطالية بين كلايتون وغاسبارينى فى روما فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٨ نصت على التزام الطرفين بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لليمن والابقاء على الوضع القائم فى الجزيرة العربية والحيلولة دون القيام باعمال مستقلة فيما يخص شؤون الجزيرة *** .

* Ibid.

** "The Times", 20.1.1927; "Morning Post", 22.1.1927; "Daily Telegraph", 22. 1927.

*** راجع كريتنير . الامبريالية البريطانية فى الجزيرة العربية . مواد فى القضايا القومية ، موسكو ، ١٩٣٤ ، العدد ٥ ؛ وتاريخ الاقطار العربية المعاصر ، موسكو ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٧ ، ٦٢١ ؛ وكوتلوف ، الجمهورية العربية اليمنية ، موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٤ .

واستنادا الى دراسة المطبوعات الغربية والعربية عن اليمن التى لم يرد فيها ذكر لاتفاقية روما عام ١٩٢٨ واكبر المجاميع الدبلوماسية وصحافة العشرينات ووثائق الارشيف الوطنى فى الهند توصلنا الى استنتاج مفاده ان المصدر الذى يحتمل ان يكون قد ضلل الباحثين هو ما نشرته صحيفة «اجيبشين غازيت» المصرية فى ٢١ تموز (يوليو) ١٩٣٣ عن توقيع اتفاقية ١٩٢٨ فى روما * . ففى الحقيقة لم توقع اتفاقية انكلوايطالية رسمية بشأن اليمن لا فى عام ١٩٢٧ ولا فى عام ١٩٢٨ ، ولم يرد فى المراسلات الدبلوماسية للفترة ١٩٢٨-١٩٣٦ ، بما فيها المراسلات البريطانية والايطالية المتعلقة بالمصالح المشتركة فى اليمن ، ذكر «اتفاقية روما ١٩٢٨» ، وكل ما ورد فى تلك المراسلات هو الاشارة الى بروتوكول لقاء روما ١٩٢٧ ونعته «باتفاقية روما» و«اتفاقية كلايتون» و«اتفاق روما» و«الاتفاقية غير الرسمية» و«الاتفاق الانكلوايطالى لعام ١٩٢٧» وهلمجرا ** .

ورغم الادعاء بالالتزام بعدم التدخل فى النزاع بين الامام يحيى وابن سعود ظلت الامبريالية الايطالية تشجع الامام فى طموحه الى ضم عسير واراضى محمية عدن الى اراضيه . ففى ١ حزيران (يونيو) ١٩٢٧ وقعت ايطاليا اتفاقية سرية مع اليمن اعترفت فيها بسيادة اليمن الكاملة فى جميع «حدوده الجغرافية المعروفة» ووعدت بمواصلة تزويده بالسلاح . ومنح الامام يحيى بدوره ايطاليا الاولوية فى الحصول على الامتيازات فى اليمن*** .

ولم تكن الامبريالية الايطالية تسعى الى استعمار اليمن بسبب ضعف امكانياتها ، لكنها استفادت من التناقضات الانكلويمنية وحاولت ان ترسخ نفوذها على ساحل الجزيرة العربية ، ولا سيما فى جزر فرسان وجزيرة كمران . فهذا يهيىء لايطاليا فرصة

* "Egyptian gazette", 21.7. 1933.

** NAI, a) File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 258, 289; b) File 53-N. Yemen affairs, 1929, No 7; c) Yemen series, 1930. Foreign Office Letter No 242; d) File 78-N, 1931. Ibn Saud and Asir, encl. to No 16; e) File 496-N, 1931, Relations between Hejaz and Yemen, p. 2; f) File 12-N, 1936. Arabia series, No 89, p. 67.

*** "The Times", 3.9.1927.

المشاركة فى الاشراف على منفذ البحر الاحمر من الشاطئين العربى والافريقى ، مما يجعل البلدان التى تستخدم هذا الطريق البحرى الهام جدا فى تبعية لايطاليا . واراد الامبرياليون الطليـان ان يستفيدوا من الصعوبات التى واجهتها بريطانيا فـى العلاقات مع الامـام يحيى وسعـوا الى اداء دور المحكـم فى النزاع الانكلويمنى ، وبالتالى الى ممارسة الضغط على بريطانيـا فى اللحظة المناسبة . ويهيئ ذلك لايطاليا بقدر ما فرصة تجاوز الـدور الثانوى الذى كانت تلعبه فى مطلع القرن العشرين فى مجال التعاون الانكلوايطالى فى البحر الابيض المتوسط وشمال شرقى افريقيا . وكانت لايطاليا مصالح اقتصادية فى اليمن . فان استخدام اليمن بمثابة سوق لتصريف المنتجات الايطالية والمتاجرة الرابحة بالبن اليمنى واحتكار بيع المشتقات البترولية فى اليمن وغير ذلك من الامتيازات التجارية التى منحها الامام مقابل المساعدة الايطالية كان يهيئ للامبرياليين الايطاليين فرصة ابتزاز ارباح طائلة . وكان بوسع توجيه التجارة اليمنية من عدن صوب مصوع ان يقلل كثيرا دور المستعمرة البريطانية ويزيد فى الوقت ذاته من اهمية اريتريا الايطالية . ودعت الصحافة الايطالية فى تلك الفترة الى استثمار الساحل اليمنى ونعتته «بالمؤخرة الاقتصادية الطبيعية لاريتريا» * . وكانت الاوساط الحاكمة فى ايطاليا تخطط لنقل بعض الشركات الايطالية العاملة فى اسمرة الى شبه الجزيرة العربية وتأسيس شركة تجارية للبحر الاحمر والسينديكات الايطالى لافريقيا وتطوير الملاحة الايطالية فى البحر الاحمر .

الا ان كل هذه المخططات لم تنفذ بسبب ضعف الامبريالية الايطالية اقتصاديا .

اما بريطانيا فقد وضعت نصب عينيها اعاقة توغل اية دولة اوربية فى شبه الجزيرة العربية . فمن خلال البحر الاحمر كان يمر خط المواصلات الذى يربط اوربا بالشرق ، وكانت بريطانيا تسيطر على المشارف الرئيسية للنقاط الاستراتيجية فى هذا الخط – جبل طارق ومالطة والاسكندرية وقناة السويس وجزيرة

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 109.

بريم وعدن ومسقط وسيلان وسنغافورة . واضعف نقطة فى هذا الخط هى البحر الاحمر ، حيث يرابط الطليان فى اريتريا والفرنسيون فى جيبوتى . ولذا بذلت الدبلوماسية البريطانية قصارى جهدها للحيلولة دون تغلغل المستعمرين الايطاليين فى ساحل الجزيرة العربية .

كانت سياسة بريطانيا ازاء الامام يحيى تستهدف الحصول على اعتراف منه بالسيطرة البريطانية على جنوب الجزيرة العربية . ولبلوغ هذا الهدف استخدم الانجليز المفاوضات الدبلوماسية وشراء ذمم القبائل وتدبير المؤامرات والتمردات ضد الزيدية وتأجيج التناقضات بين الامام يحيى وابن سعود .

واستندت سياسة الامام يحيى فى اواسط العشرينات على الاستفادة القصوى من التناقضات بين بريطانيا وايطاليا من اجل توحيد اليمن . الا ان آمال الامام فى الدعم من جانب ايطاليا لم تتحقق . فقد زودت ايطاليا اليمن باسلحة وتجهيزات عتيقة باسعار اعلى من الاسعار العالمية بكثير . وفى الاوقات العصيبة بالنسبة لليمن ، عندما قصفت الطائرات البريطانية المدن اليمنية رفض موسولينى طلب الامام يحيى بتزويد اليمن بسلاح مضاد للجو . والاكثر من ذلك كان الفاشيون الايطاليون الذين يصورون انفسهم حماة البلدان الاسلامية مستعدين للمشاركة فى العمليات الحربية البريطانية كيلا يتخلفوا عن بريطانيا فى التوسع الاستعمارى .

كان التنافس الانكلوايطالى على النفوذ فى جنوب شبه الجزيرة العربية قد دفع الامام يحيى بقدر كبير لتطبيق سياسة الانعزال التى مكنته من صيانة استقلال البلاد من جهة ، واعاقت من جهة اخرى التطور الاقتصادى والسياسى والاجتماعى لليمن .

الفصل الثالث

قيام الدولة اليمنية المستقلة

١ . سياسة الامبريالية البريطانية المعادية لليمن فى اواخر عشرينات القرن الحالى

لقد اثر اخفاق المحاولات الدبلوماسية لحمل الامام يحيى على الاعتراف بالتقسيم الانكلوعثمانى لليمن وتزايد نشاط ايطاليا فى جنوب حوض البحر الاحمر تأثيرا كبيرا على الانعطاف فى سياسة بريطانيا ازاء اليمن ، وهو الانعطاف الذى يتلخص فى الانتقال من اللين الى الشدة . ففى اعقاب توقيع اتفاقية ١٩٢٦ الايطاليـة اليمنية بدأت بريطانيا تحضر للعمليات الحربية ضد اليمن . وافرد الدور الرئيسى فيها لسرب من احدث قاذفات القنابل . وفى بداية اذار (مارس) ١٩٢٧ وصل سرب الطائرات هذا الى عدن . وسرعان ما كلف المقيم البريطانى فى عدن الجنرال ستيوارت بتوجيه انذار الى الامام يحيى يعلن فيه «ان استمرار احتلال عساكر الامـام لاراضى المحمية يمكن ان يسفر فى اية لحظة عن اجراءات تنكيلية جوابية برا وجوا وبحرا» . وحذروا الامام من ان «الغزو الجديـد للمحمية او اية عمليات اخرى موجهة ضـد جزر البحر الاحمر ستؤدى الى عمليات فورية من جانب حكومة صاحب الجلالة» * .

وبغية تأكيد التزام بريطانيـا باتفاقيات روما فيما يخص المشاورات وتبادل المعلومات كلف وزير الخارجيـة شمبرلين السفير البريطانى فى روما غراهام بان يسلم الحكومة الايطالية مذكرة احاطتها علما بهذا التحول فى العلاقات الانكلويمنية ** . وردا على ذلك عبرت الحكومـة الايطالية عن قلقهـا من الانذار

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, encl. to No 154.

** Ibid., encl. to No 160, encl. to No 171.

البريطانى الى اليمن فاهابت بلندن ان تمتنع عن العمليات الحربية ضد الزيديين * .

ولم يسفر الانذار البريطانى الموجه الى امام اليمن عن التأثير الذى كان الانجليز يتوقعونه . فالامام يحيى لم يتخل ، فى رده ، عن حقوقه فى جنوب شبه الجزيرة ، بل اقترح ارسال ممثل عنه الى عدن لتسوية مسألة توقيع الاتفاقية ** .

ورغم رفض الامام يحيى فعليا النزول عند شروط الانذار لم تعجل بريطانيا فى تنفيذ تهديدها . ففى ٢٥ آيار (مايو) ١٩٢٧ اتخذت لجنة الامن الامبراطورى التابعة لمجلس الوزراء البريطانى قرارا بقصف المدن اليمنية ولكن بعد ان يقدم الزيديون الذريعة المناسبة لهذا الغرض اذا قاموا بغزو جديد» *** .

وتعزى عدم رغبة المستعمرين البريطانيين فى اثارة بؤرة جديدة للتوتر الى ان مكانة بريطانيا دوليا تعقدت كثيرا فى صيف ١٩٢٧ بسبب السياسة العدوانية التى طبقتها حكومة بولدوين المحافظة ضـد الاتحاد السوفييتى . وفى اذار (مارس) ١٩٢٧ بدأ التدخل المسلح الانكلواميركى السافر فى الصين حيث اشتدت لدرجة كبيرة انذاك الثورة التى هددت باسقاط صنائع الامبريالية العالمية .

وفى نفس وقت احداث الصين تأزم الموقف فى مصر حيث اتسع النضال ضد السيطرة البريطانية . وفى تلك الفترة كانت بريطانيا تريد اشعال حرب ضد الاتحاد السوفييتى فشددت التوتر عمدا فى العلاقات الانكلوسوفييتية . وفى ٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٧ سلم شمبرلين ممثل الاتحاد السوفييتى فى لندن مذكرة اعلنت عن قطع العلاقات الدبلوماسيـة مع الاتحاد السوفييتى وفسخ اتفاقية ١٩٢١ التجارية من جانب الحكومة البريطانية **** . وكانت الاوساط الحاكمة البريطانيـة تريد من وراء قطـع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى ان تعزله سياسيا واقتصاديا

* Ibid., No 182.

** Ibid., No 183.

*** Ibid., No 202.

**** وثائق السياسة الخارجية فـى الاتحاد السوفييتى ، موسكو ، ١٩٦٤–١٩٦٦ ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٨ .

وتشدد المقاطعة الاقتصادية والمالية ضده وتهيىء الظروف لتدبير اعتداء خارجي عليه . وقد دعا شمبرلين الى تأجيل العمليات التأديبية ضد اليمن واشار فى ٣ حزيران (يونيو) ١٩٢٧ الى ان بريطانيا تواجه الآن ازمات كثيرة ، وخصوصا قطع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى ، وتعقد الموقف فى الصين ومصر . واقترح شمبرلين عدم شن اية عمليات حربية ضد اليمن فى المستقبل القريب حتى اذا جرى «غزو جديد للمحمية» * .

ووفقا لتوجيه شمبرلين كلف المقيم البريطانى فى عدن فى ٩ تموز (يوليو) ١٩٢٧ باعلان الموافقة على اقتراح الامام يحيى بشأن استئناف مفاوضات توقيع الاتفاقية ودعوة ممثله الى عدن ** . الا ان الامام يحيى لم يقدم ردا محددا على مسألة سحب مفارزه المسلحة من اراضى المحمية . فقد بعث مع كراوفورد ممثل احدى الشركات البريطانية الذى كان فى صنعاء على امل الحصول من الامام يحيى على امتياز ما رسالة غير رسمية الى عدن اصر فيها على حقوقه فى الامارات اليمنية الجنوبية *** .

وكانت لندن لا ترى جدوى من استئناف المفاوضات على هذا الاساس ، فقررت عدم الرد على الامام يحيى وعدم الشروع بالمفاوضات الا بعد ان يعترف بحدود محمية عدن **** .

وفى خريف ١٩٢٧ تهيأت للمستعمرين البريطانيين لاول مرة ذريعة لاستخدام سرب قاذفات القنابل المرابطة فى عدن . فان مجموعة من المفارز اليمنية دخلت اراضى اتحاد قبائل صبيحى اليمنية الجنوبية فى ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ واحتلت موقعين سكنيين .

وفى ٣ تشرين الاول (اكتوبر) سمحت وزارة الخارجية للادارة فى عدن بالقاء مناشير تتضمن نص الانذار على الاراضى التى احتلها اليمنيون . وانذرت المناشير العساكر اليمنية بانها ستتعرض للقصف اذا لم تنسحب الى مواقعها السابقة فى غضون ٤٨ ساعة . وبعد انتهاء مدة الانذار فى ٦ تشرين الاول اقلعت

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 202.
** Ibid., No 220, 221, 232.
*** Ibid., No 248.
**** Ibid., No 264, 268.

الطائرات البريطانية لقصف المواقع اليمنية ، لكنها رأت ان مفارز الامام انسحبت ، فعدلت عن قصف المنطقة * . لقد كان الجيش اليمنى عاجزا تماما امام الغارات الجوية . ومع ان ايطاليا زودت اليمن بسبع طائرات عتيقة ، لكنها لم تستخدم بسبب عدم وجود طيارين يمنيين ** .

وبوصول سرب قاذفات القنابل خطت بريطانيا خطوة جديدة على طريق بتر المناطق الجنوبية من اليمن نهائيا . وفى ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٧ صدر قرار من الحكومة البريطانية بتخويل المقيم البريطانى فى عدن «بحق قصف المدن اليمنية بدون سماح خاص من لندن فى حالة قيام الزيديين بغزو جديد» *** . وفى خريف ١٩٢٧ اسرع المستعمرون البريطانيون فى التحضير للعمليات التنكيلية ضد اليمنيين ، ولم يعودوا يكتفون بمهمة تثبيت التقسيم الانكلوعثمانى لليمن نهائيا . وبعد ان اعرب اليمن فى صيف ١٩٢٧ عن رغبته فى اقامة علاقات ودية مع الاتحاد السوفييتى ظهر فى سياسة الامبريالية البريطانية تركيز جديد على ممارسة الضغط على الامام يحيى لحمله على التخلى عن اية اتصالات مع اول دولة اشتراكية فى العالم .

وسرعان ما حصلت الادارة فى عدن على ذريعة مناسبة لتجريب سربها الجديد فى عمليات حربية ضد اليمنيين . ففى ٨ شباط (فبراير) ١٩٢٨ قامت عدة مفارز من عساكر الامام يحيى بحملة على اراضى قبيلة صبيحى فى جنوب اليمن وقبضت على شيخين من شيوخها كرهينة **** . واتخذت الادارة فى عدن اعتقال الشيخين حجة لتتظاهر «بالدفاع» عن اهالى محمية عدن وتعيد حدود ١٩٠٥ العدنية اليمنية بالقوة تحت ستار اطلاق سراح الرهينتين . وكان الانجليز قد استعدوا لهذه العملية من زمان . وتشكلت مفارز مقاتلة من بين قبائل جنوب اليمن الموالية لبريطانيا لتحارب حاكم صنعاء . وبانتهاء مدة الانذار انهالت الطائرات البريطانية

* Ibid., No 278.
** Gavin R.J. Aden under British Rule . . . p. 430.
*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 294.
**** Gavin R. J. Op. cit., p. 283; Ingrams H., Op. cit., p. 67.

بقصف وحشى على مدينة القطيب وعلى مواقع اليمنيين فى منطقة الضالع . وترك القصف الكثيف الذى قتل اثناءه اكثر من ١٤٠ شخصا اثرا كبيرا على اليمنيين الذين لم يكن الكثيرون منهم قد رأوا الطائرة قبل ذلك . وحاول الامام يحيى ان يحد من انتشار الذعر والرعب فى عساكره فطلب هدنة واصدر امرا باطلاق سراح الرهينتين * .

وتوقعت الادارة فى عدن استسلام الامام قريبا فاوقفت القصف مؤقتا ووافقت على اجراء المفاوضات ووقف اطلاق النار . الا ان اللقاء الانكلويمنى الذى جرى فى مدينة تعز لم يسفر عن نتيجة ، لانه كان مجرد حلقة فى «تكتيك المماطلة» الذى طبقه الامام لكسب الوقت ولاخماد عصيان القبائل ذات الميول الانفصالية .

ومع ان سياسة كبار الاقطاعيين الزيديين الرامية الى توحيد الاراضى اليمنية التاريخية فى دولة واحدة كانت تستجيب لحاجات البلد الاقتصادية والاجتماعية ، الا ان شكل تطبيقها الذى يتلخص فى التنكيل دون رحمة بالقبائل العاصية والنهب السافر والاستيلاء على افضل الاراضى وفرض اضطهاد مزدوج على البسطاء من ابناء القبائل غير الزيدية اثار تذمرا متزايدا بين اهالى المناطق التى جرى توحيدها . وكانت الادارة فى عدن تؤجج الميول المعادية للزيديين ، فقد كان عملاؤها يعرضون معونات مالية كبيرة على شيوخ القبائل ذوى الميول الانفصالية فى حالة التمرد على الامام يحيى .

ولذا لم يكن من قبيل الصدفة ان تمرد قبائل حاشد والزرانيق على حاكم صنعاء استؤنف ابان قصف المدن اليمنية . وفى الوقت ذاته استمر تأزم الموقف على الحدود الشمالية مع عسير التى يدعى بعائديتها كل من الامام يحيى وابن سعود . وكان الكفاح على ثلاث جبهات قد اضعف قدرة اليمنيين الشماليين واعاق تحشيد قواتهم فى اتجاه واحد . ولهذا السبب حاول الامام يحيى ان يخصص قوات لدعم مؤخرته فسعى الى اطالة امد الهدنة الى اقصى حد . فقد استفاد الامام من وقف اطلاق النار فى الحدود الجنوبية

* Survey of international affairs, 1928, p. 315; Gavin R. J. Aden under British Rule . . . , p. 283.

فبعث فى ايار (مايو) ١٩٢٨ حملة كبيرة بقيادة الامير احمد لاخماد حركة الزرانيق * .

وادرك الانجليز مناورة الامام يحيى عندما اتضح فى اللقاء الانكلويمنى فى تعز ان ممثلى الجانب اليمنى لا يتمتعون بصلاحية اجراء المفاوضات الرسمية فيما يخص توقيع الاتفاقية ** . فرفضوا اقتراح الامام يحيى بتمديد الهدنة فترة اخرى وطالبت الادارة فى عدن بلهجة انذارية بانسحاب المفارز اليمنية من اراضى المحمية فى مدة لا تتجاوز ٢٠ حزيران (يونيو) . وفى ٢٥ حزيران ١٩٢٨ استأنفت الطائرات البريطانية غاراتها . وكان نطاق غارات قاذفات القنابل هذه المرة اوسع بكثير ، حيث شمل تعز واب وذمار والقطيب وماوية وغيرها . واسفر القصف المكثف يوميا والذى استمر اكثر من ٢٠ يوما عن اضرار بالغة بالسكان المسالمين .

ولم تكن الغارات الجوية ذات طابع عسكرى فقط . فالطائرات البريطانية القت مناشير وعدت فيها ادارة اليمن بعدم قصف المناطق التى يرفض اهاليها من الشافعية تأييد الزيدية . وكان الانجليز يؤملون فى تأجيج النزاع بين مختلف الطوائف الدينية فى اليمن فكتبوا فى مناشيرهم ان الزيديين وحدهم مسؤولون عن القصف الجوى الذى لا غرض منه سوى «الدفاع» عن القبائل اليمنية الجنوبية التى هى تحت الحماية البريطانية . واتخذت هذه التصريحات المرائية التى تهدف الى تأليب الشافعيين على الزيديين وجرهم الى نزاع قبلى على اساس طائفى ستارا للتغطية على الاغراض التوسعية الفعلية لبريطانيا .

وفى ١٦ تموز (يوليو) ١٩٢٨ انسحبت العساكر اليمنية العاجزة امام الغارات الجوية وتركت مدينة الضالع الهامة من الناحية الاستراتيجية . وبعد محاولات فاشلة لاستعادة المواقع المفقودة اضطر اليمنيون فى اواخر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٨ على الانسحاب الى ما وراء خط حدود ١٩٠٥ الانكلوعثمانية ، واحتفظوا

* Survey of international affairs . . . , p. 318; سالم مصطفى ، تكوين اليمن ، ص ٣٣٥ .

** امين سعيد . اليمن . . . ، ص ٦٨ .

فقط بجزء من اراضى عودلى ويافع * . ولم تتحقق امال الامام يحيى فى الحصول على دعم عسكرى وسياسى من جانب ايطاليا . فان ايطاليا لم ترغب فى المزيد من تأزيم العلاقات مع بريطانيا ، ولذا لم تعارض العدوان البريطانى على اليمن . واكتفى المستعمرون الايطاليون بارساليات صغيرة من السلاح العتيق والذخيرة التى باعوها على الامام باسعار مرتفعة جدا .

٢ . العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والحجاز واليمن . اضعاف مواقع المستعمرين البريطانيين فى شبه الجزيرة العربية

فى وضع سياسى معقد فى الداخل والخارج ابلغ اليمن الحكومة السوفيتية برغبته فى اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين . وتعود اولى الاتصالات بين المسؤولين اليمنيين وممثلى الاتحاد السوفييتى الى عام ١٩٢٦ حيث تقابل مبعوث الامام يحيى فى العاصمة التركية انقرة القاضى احمد الانسى مع الممثلين السوفييت . وارست لقاءات انقرة بداية العلاقات بين الاتحاد السوفييتى واليمن .

وفى صيف ١٩٢٧ بعث الامير محمد ، نجل الامام يحيى ، رسالة الى الممثلية السوفييتية فى جدة اعرب فيها عن رغبة حكومة اليمن فى التفاهم مع الشعوب الشرقية ، لاسيما التى تتميز بنمط التفكير التقدمى وتكافح الاضطهاد الامبريالى . وجاء فى الرسالة ان حكومة روسيا الموقرة تسهر على مصالح الشرق . والامبرياليون يكافحون هذه الحكومة وينفقون اموالا طائلة على ذلك ويخصصون وسائل عسكرية وسياسية ضخمة ليحولوا دون الشعوب الشرقية ودون نسيم الحرية . وتكسب هذه الحكومة عطف الشعوب المظلومة . ويأمل اليمانيون ، كما كتب الامير محمد ، فى قيام علاقات طيبة بين الحكومتين .

وبالمقارنة مع «مساعدة» ايطاليا الامبريالية التى تأكد اليمنيون من عدم نزاهتها كان بوسع الامام يحيى ان يرى كيف تتطور بشكل مثمر العلاقات التجارية المتكافئة بين العربية

* Servey of international affairs, 1928, p. 316.

السعودية والاتحاد السوفييتى الذى كان اول بلد فى العالم يعترف باستقلال دولة ابن سعود فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٦ ، وبذا قدم لها دعما سياسيا ومعنويا كبيرا . وفى نيسان – ايار (ابريل – مايو) ١٩٢٦ تبادل مفوض الشعب للشؤون الخارجية فى الاتحاد السوفييتى تشيتشيرين وابن سعود رسالتين اعربا فيهما عن رغبة الطرفين فى تطوير العلاقات الثنائية . وفى صيف ١٩٢٦ عقد فى مكة المؤتمر الاسلامى العام الذى دعا اليه ابن سعود لمناقشة قضايا الحج . ودعى لحضور هذا المؤتمر كذلك مسلمو الاتحاد السوفييتى الذين مثلهم وفد الادارة الدينية المركزية فى اوفا . وترأس الوفد السوفييتى المفتى فخر الدينوف الذى انتخب نائبا اول لرئيس مؤتمر مكة . وقد ساعدت مشاركة مسلمى الاتحاد السوفييتى فى المؤتمر لدرجة معينة على نجاحه ، كما ساعدت فى الوقت ذاته على اخفاق مؤتمر آخر حاول ان يعقده فى القاهرة علماء الدين المصريون بتشجيع من بريطانيا ليواجه مؤتمر مكة .

واثر قيام العلاقات السوفييتية الحجازية بقدر معين على جعل الدبلوماسية البريطانية تقدم على تنازلات فى المفاوضات مع ابن سعود خشية استمرار التقارب بين العرب والاتحاد السوفييتى . فلئن كانت المشاريع البريطانية السابقة للاتفاقية الانكلوسعودية المنتظرة تهمل عمدا مسألة اعتراف بريطانيا باستقلال نجد والحجاز * ففى اواخر عام ١٩٢٦ اضطرت لندن الى النزول عند رغبة ابن سعود والاعتراف رسميا باستقلاله ** .

وفى ايار (مايو) ١٩٢٧ وصلت من اوديسا اول سفينة سوفييتية تقل حجاجا من مختلف البلدان الاسلامية الى ميناء جدة الحجازى ، حيث نظم بمبادرة من غرفة التجارة الشرقية معرض لبيع السلع السوفييتية . وبفضل الجودة الممتازة حظيت البضائع الروسية باقبال واسع لدى الاهالى . ووقعت المؤسسات التجارية السوفييتية عدة عقود مع تجار من الحجاز . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٧ قامت الباخرة السوفييتية «تيودور نيته» برحلتها الثانية الى جدة ، حيث نقلت ٢١٧ طنا من الدقيق والسكر وكمية من

* NAI, File 114-N of 1982. Revision of the Treaty between His Majesty's government and Ibn Saud, No 4,21, encl. 2 to No 35.

** Ibid., annex. 5, No 63.

الآنية النحاسية ونماذج من مختلف البضائع . وفى الفترة الاولى من المتاجرة مع نجد والحجاز بلغ مجموع ما نقل من الاتحاد السوفييتى الى جدة ٧٥٠ طنا من السكر و٤٧٠ طنا من الدقيق ، بالاضافة الى المشتقات البترولية والمنتجات الصناعية والسليكات وغيرها من البضائع * .

واثار افتتاح الممثلية السوفييتية فى جدة وتعزز العلاقات بين الحجاز ونجد وبين الاتحاد السوفييتى رد فعل سلبيا للغاية فى الاوساط الاستعمارية البريطانية . فقد حاول المستعمرون البريطانيون بكل الوسائل ان يعيقوا تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والعرب ، فخوفوا زعماء البلدان العربية «بالخطر البلشفى» وروجوا مختلف الاكاذيب المعادية للشيوعية وللاتحاد السوفييتى واعاقوا تطور الصلات التجارية الطبيعية بين البلدان العربية والاتحاد السوفييتى ، وهى الصلات التى تعود اصولها الى تجارة روسيا التى كانت منتعشة تماما مع بلدان الشرق الادنى وشمال افريقيا فى القرن التاسع عشر ** .

ومن الادلة على النشاط التخريبى الذى مارسته بريطانيا ضد الاتحاد السوفييتى برقية المندوب السامى فى القاهرة اللورد لويد الى وزارة الخارجية البريطانية فى ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٦ . فقد اعرب اللورد لويد عن مخاوفه من قيام الاتصالات الوثيقة بين الممثلية السوفييتية فى جدة والقوى التقدمية فى مصر ، واقترح «حمل ابن سعود على قطع العلاقات الدبلوماسية مع روسيا السوفييتية» باسرع ما يمكن *** .

ومع ان وزارة الخارجية البريطانية رفضت الضغط بخشونة على ابن سعود ، لكنها بعثت توجيها سريا الى جوردان ممثل بريطانيا فى جدة وكلفته بان يخبر ابن سعود سرا بان «حكومة صاحب الجلالة ستنظر بعين الرضى اليه اذا وجد وسيلة لتقليص

---

* راجع يوفى . السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى (١٩٢٨–١٩٣٢) . موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ٤١٠ .

** تاريخ البلدان العربية المعاصر . موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥–٢٦ .

*** NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 108.

نشاط الممثلية السوفييتية فى جدة» * . والى جانب الضغط على ابن سعود شنت الصحف البريطانية حملة على الصفقات التجارية السوفييتية فى شبه الجزيرة العربية . وتعرضت للضغط من جانب بريطانيا ليس فقط الاوساط الحاكمة فى الدولة السعودية ، بل وكذلك التجار السعوديون المحليون . وبالنتيجة واجهت البعثة التجارية السوفييتية الثالثة الى جدة مقاطعة دبرها الانجليز . ولم يسمح للموظفين التجاريين السوفييت حتى بالنزول الى الساحل ** . وخلال الفترة ١٩٢٨–١٩٢٩ وصلت الى الحجاز من الاتحاد السوفييتى بعثة تجارية واحدة ، وفى عام ١٩٣٠ لم تصل اية بعثة . ولم تحقق نجاحا المفاوضات التى بدأت فى عام ١٩٢٨ بخصوص الاتفاقية التجارية ، رغم حاجة الحجاز ونجد الماسة فى فترة الازمة الاقتصادية العالمية الى البضائع التى كانت ترد فى السابق من الاتحاد السوفييتى .

ورغم العوائق المختلفة التى وضعها المستعمرون البريطانيون ظلت علاقات الاتحاد السوفييتى مع الشعوب العربية تتطور . وفى آذار (مارس) ١٩٢٨ وافقت الحكومة السوفييتية على اقتراح امام اليمن باقامة العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الدولتين .

وفى معرض الحديث عن المساعدة السوفييتية لليمن اشار المؤرخ العربى الدكتور محمد على الشهارى فى كتابه «طريق الثورة اليمنية» الى ان قوة جديدة ظهرت فى الشرق وليس لديها اطماع امبريالية ، خلافا لبريطانيا الامبريالية وايطاليا الفاشية اللتين ارادتا ابتلاع اليمن الشمالى ، وكانت تلك القوة تريد ان تمد يد الصداقة الخالصة وتقدم المساعدة النزيهة . وتلك القوة الجديدة هى الاتحاد السوفييتى الدولة الاشتراكية الوحيدة الاولى فى العالم *** . وكان وصول باخرة الاسطول التجارى السوفييتى الى الحديدة فى ايار (مايو) ١٩٢٨ قد ارسى بداية العلاقات التجارية بين الاتحاد السوفييتى واليمن . وحظيت السلع السوفييتية برواج

---

* Ibid., No 109.

** «شعوب آسيا وافريقيا» ، ١٩٦٥ ، العدد ٦ ، ص ٥٩ .

*** راجع الشهارى ، محمد على . طريق الثورة اليمنية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٢–٣٣ .

كبير واعربت اوساط يمنية عن رغبتها فى اضفاء طابع منتظم على العلاقات التجارية بين البلدين .

فقد اشارت رسالة استلمتها غرفة التجارة السوفييتية من حاكم الحديدة الامير محمد الى ان الامير سيبذل قصارى جهده لتهيئة الظروف الملائمة للمتاجرة مع الاتحاد السوفييتى وذلك نظرا لرغبة السكان فى شراء البضائع السوفييتية * . وكان وصول البعثة التجارية السوفييتية الى الحديدة فى وقت حرج ، حيث هددت الطائرات البريطانية بقصف المدن والقرى اليمنية من جديد ، قد قدم دعما معنويا كبيرا للشعب اليمنى . وفى رسالة الى الامام يحيى بتاريخ ٨ ايار (مايو) ١٩٢٨ اعرب تشيتشيرين عن «افضل التمنيات والمزيد من الازدهار للمملكة اليمنية وتعزيز علاقاتها الودية مع الشعوب الشرقية الاخرى» ** .

وحاول المستعمرون البريطانيون ممارسة الضغط على الامام يحيى ليحولوا دون توقيع اية اتفاقيات بين اليمن والاتحاد السوفييتى ، فاستأنفوا فى ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ القصف الوحشى للمدن اليمنية . ولكن رغم هذه المحاولات الرامية الى اعاقة قيام العلاقات اليمنية السوفييتية تم فى ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢٨ فى صنعاء توقيع نص الاتفاقية السوفييتية بالاحرف الاولى . وقد اكد النص على الدعم السياسى من جانب الاتحاد السوفييتى لنضال الشعب اليمنى فى مكافحة العدوان البريطانى *** .

وفى ١٤ تموز (يوليو) بعث امام اليمن رسالة الى تشيتشيرين اخبره فيها بارتياح بتوقيع هذه الوثيقة التى ارست اساس الصداقة بيننا وبين حكومتكم الموقرة ، على حد تعبير الامام يحيى **** . واوضح الامام يحيى السبب فى توقيع نص الاتفاقية بالاحرف الاولى فقط مؤكدا ان الملابسات الراهنة ، فى ظروف

* راجع «الازفستيا» ، ١٩٢٨/٩/٢٠ ، و«البرافدا» ، ١٩٢٩/١/٢٧ .

** وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، المجلد ٢ ، ص ٣٠٧ـ٣٠٨ .

*** المصدر ذاته ، ص ٧٢١ .

**** المصدر ذاته ، ص ٣٠٨ .

الضغط المتواصل من جانب بريطانيا ، هى التى املت ذلك ، الا ان الطرفين اتفقا فى الرأى القائل بامكانية توسيع الاتفاقية عند الاقتضاء وعندما يزداد التبادل النافع بين كلا البلدين * .

وفى الاول من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٨ وقع ممثل الاتحاد السوفييتى استاخوف والقاضى محمد راغب القائم باعمال وزير خارجية اليمن فى العاصمة صنعاء النص النهائى للاتفاقية السوفييتية اليمنية . وكانت تلك اول اتفاقية توقع بين الاتحاد السوفييتى وبلد عربى . واعترفت الاتفاقية بتكافؤ الطرفين فى كل ما يتعلق بالحقوق والاحكام العامة القائمة بين البلدان والشعوب ** . واعترف الاتحاد السوفييتى بالاستقلال التام الكامل لحكومة اليمن ، كما اشار الامام يحيى بدوره الى انه وحكومته يقدران المشاعر الطيبة التى يكنها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للدولة اليمنية وشعبها ، ولسائر شعوب الشرق *** .

وفى ٢٣ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ ابرمت اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتى الاتفاقية مع اليمن ، وفى ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٩ غدت الاتفاقية سارية المفعول بعد تبادل وثائق الابرام **** . وكتبت جريدة «البرافدا» عن الاتفاقية مع اليمن فى تلك السنوات واكدت «بانها حلقة اخرى فى سلسلة اتفاقيات الصداقة التى تربط الاتحاد السوفييتى بالشرق الناهض . . . وهذه الاتفاقية قيمة بالنسبة لليمن خصوصا لان الاتحاد السوفييتى ، خلافا للدول الامبريالية ، لا يتوخى اية اغراض اغتصابية واية مهمات «للتغلغل» و«التوغل» و«النفوذ» وهلمجرا» ***** .

واثار توقيع الاتفاقية بين الاتحاد السوفييتى واليمن وابرامها فيما بعد اصداء واسعة ومتناقضة فى مختلف البلدان . فقد ردت

* المصدر ذاته .

** الاتحاد السوفييتى والبلدان العربية ، ١٩١٧ـ١٩٦٠ . وثائق ومواد ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٦٩ .

*** المصدر ذاته ، ص ٦٩ـ٧٠ .

**** وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى . المجلد ٢ ، ص ٥٦٢ .

***** «البرافدا» ، ١٩٢٩/١/٢٧ .

الصحافة البريطانية على ذلك بحملة حاقدة على الاتحاد السوفييتى وحاولت ان تزور الوقائع والاحداث وتشوه القيمة الحقيقية للاتفاقية السوفييتية اليمنية وتزعزع ثقة العرب بالاتحاد السوفييتى . فقد كتبت «التايمس» اللندنية فى ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ تقول «فى الآونة الاخيرة لم تكن العلاقات بين الامام يحيى ومحمية عدن طيبة ، والذنب فى ذلك يقع ، كما يبدو ، على العملاء الروس المتواجدين فى العاصمة اليمنية صنعاء» * . وبغية تشويه المساعدة السوفييتية الى اليمن حاولت «التايمس» ان تقنع قراءها «بضآلة» الاهمية التجارية والسياسية للوثائق اليمنية السوفييتية التى وقعت فى صنعاء . وظهرت فى الصحف البريطانية مقالات تزعم بان الاتحاد السوفييتى لم يوقع الاتفاقية الا لكى يستخدم اليمن فى «نشاطه الدعائى فى الجزيرة العربية ومصر والهند» ، وادعت تلك الصحف «ان الروس مذنبون فى ازدياد التوتر فى العلاقات الانكلويمنية» * * .

الا ان العرب لم يصدقوا افتراءات الصحافة البريطانية . فاغلبية الصحف العربية ، رغم الرقابة الموالية للانجليز ، التزمت بالرأى القائل بأنه اذا كانت صنعاء قد التفتت فى الآونة الاخيرة الى موسكو فلاعتقادها بان «البلاشفة الملحدين» افضل من الدول التى تعتبر نفسها «حامية الاسلام» * * * . وحللت جريدة «شفق صرح» الايرانية فى عددها الصادر فى ٢١ شباط (فبراير) ١٩٢٩ اهمية الاتفاقية اليمنية السوفييتية وكتبت ان هذه الاتفاقية «ستترك انطباعا كبيرا جدا فى الدول التى يقطنها العرب ، لانه اذا كانت حرية اليمن ستضمن بنتيجة هذه الاتفاقية فان النير الاجنبى سيخف ، وسيؤدى ذلك الى جعل سائر الامراء العرب يتوجهون صوب روسيا . وحتى اذا لم يفعلوا ذلك فان نير الدول الامبريالية فى البلدان العربية المستعمرة سيقل بقدر ما» * * * * .

ورغم اختلاقات الصحافة البرجوازية اخذت تتطور علاقات تجارية منتعشة بين الاتحاد السوفييتى واليمن . واعتبارا من

* "The Times", 25.1.1929.

** راجع «الازفستيا» ، ١٩٢٩/٢/١٩ .

*** راجع صحيفة «فلسطين» ، ١٩٢٩/٢/١٢ .

**** جريدة «شفق صرح» ، ١٩٢٩/١/٢١ .

منتصف عام ١٩٢٩ اتخذت هذه العلاقات طابعا منتظما . فخلال ١٩٢٩-١٩٣٠ استوردت اليمن من الاتحاد السوفييتى ٥٠٪ من الكيروسين و٦٠٪ من الصابون و٣٥٪ من السكر مما استوردته عموما ، وكذلك كميات كبيرة من الاخشاب والدقيق والبضائع الاخرى . وساعدت الارساليات السوفييتية لدرجة كبيرة على استقرار الاسعار فى السوق اليمنية . ومع ان الاتحاد السوفييتى فى سنوات التصنيع واشاعة التعاونيات الزراعية كان يعانى من نقص شديد فى الاغذية والتجهيزات فقد اخذ اعتبارا من عام ١٩٣٠ يصدر المكائن والتجهيزات المخصصة للنهوض بالزراعة فى اليمن * . وبسريان مفعول الاتفاقية السوفييتية اليمنية افتتح فى صنعاء مستوصف سوفييتى للهلال الاحمر قدم فيه الاطباء السوفييت الاسعاف الطبى المجانى للسكان . وعلى الصعيد الدولى ايدت الدبلوماسية السوفييتية جهود اليمن فى تعزيز استقلاله .

وبالاضافة الى المستعمرين البريطانيين حاول ان يعيق تطور العلاقات اليمنية السوفييتية المستعمرون الايطاليون الذين اخذوا يفقدون مواقعهم فى اليمن فى الثلاثينات . فحالما تلقى حاكم اريتريا الايطالى نبأ توقيع الاتفاقية اليمنية السوفييتية احتج على الامام يحيى واعلن ان هذه الاتفاقية «تتعارض واتفاقية الامام مع ايطاليا» * * . وفى ٢٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ اعلن القائم بالاعمال الايطالى فى لندن لممثلى وزارة الخارجية «ان حكومته بودها لو تلفت انظار حكومة صاحب الجلالة الى توقيع الاتفاقية التجارية بين الروس وامام اليمن . ان هذا التطور الجديد سيخلق من كل بد صعوبات امام ايطاليا وبريطانيا ولتفادى ذلك تقترح الحكومة الايطالية على الحكومة البريطانية ان تقلص او تكف نهائيا عن الضغط الحربى الذى تمارسه الآن على الامام فيما يخص محمية عدن» * * * . ويعتبر تصريح الدبلوماسى الايطالى هذا دليلا بليغا على اهمية الاتفاقية اليمنية السوفييتية

* Uoffe A. E. Op. cit., p. 62-63.

** NAI, Yemen affairs, 1929. Arrongements for opening negotiations . . . , encl. to No 1.

*** Ibid., No 7.

وتأثيرها على سياسة الامبرياليين الذين اضطروا الى التخلي عن الاشكال القديمة للسيطرة الاستعمارية .

وبمرور خمسين عاما على توقيع الاتفاقية بين اليمن والاتحاد السوفييتي اعادت «البرافدا» الى الاذهان فى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨ منابع قيام العلاقات اليمنية السوفييتية وكتبت تقول : فى تلك الفترة العصيبة بالنسبة للشعب اليمنى عندما تعرض للعدوان الامبريالى وحاولت السلطات البريطانية خنق البلاد فى طوق الحصار الاقتصادى والسياسى اتسم باهمية كبيرة تأييد بلاد السوفييت التى اعلنت على رؤوس الاشهاد عن اعترافها التام الكامل باستقلال اليمن . وساعد هذا التأييد على تدعيم اركان الدولة اليمنية * .

٣ . اتمام استقلال الدولة اليمنية

فى اواسط عام ١٩٢٩ توقفت غارات الطائرات البريطانية على المدن اليمنية واستؤنفت المراسلات بين صنعاء وعدن بشأن توقيع الاتفاقية الانكلويمنية . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٩ بعث الامام يحيى مشروع الاتفاقية المذكورة الذى وضعه بمساعدة كراوفورد ممثل احدى الشركات البريطانية ** . ونصت شروط هذا المشروع الذى سماه الامام يحيى فيما بعد «بمشروع كراوفورد» على ان تعترف بريطانيا بالاستقلال التام لليمن وتلتزم بعدم التدخل فى شؤونه الداخلية . واستدرك الامام يحيى فى الوقت ذاته بان عدن التى تحكمها بريطانيا والاراضى المتاخمة لها ، بما فيها جزر البحر الاحمر ، هى جزء من اليمن جغرافيا وتأريخيا ، لكنه وافق على ابقاء الوضع القائم كما هو حتى البت نهائيا فى مستقبل قريب بمسألة مكانة هذه الاراضى . واحتفظ الامام يحيى بحق اختيار وتعيين القضاة فى محاكم الشريعة المتواجدة فى المنطقة البريطانية والاشراف التام على الشؤون الدينية لسكان المنطقة *** .

* «البرافدا» ، ٣١/١٠/١٩٧٨ .
** Baldry J. The Powers and mineral concessions ..., p. 102.
*** NAI, Yemen series, 1929. Arrangments..., encl. 1 to N° 35.

ومع ان الحكومة البريطانية رفضت مشروع الامام متصورة بان شروطه تعنى فى الواقع الاعتراف بالامام يحيى زعيما دينيا لليمن كله ، بما فيه سكان محمية عدن ، فقد اشارت الى المقيم البريطانى فى عدن بان يواصل المفاوضات ويطرح على الامام الصيغة البريطانية للاتفاقية المذكورة ، وهى الصيغة التى استندت اساسا الى المشروع الاخير الذى وضعه كلايتون فى ١٨ شباط (فبراير) ١٩٢٦ اثناء مباحثاته فى صنعاء * وفى نفس الوقت اوصى وزير خارجية الحكومة العمالية الثانية هندرسون المقيم البريطانى فى عدن بان يرفض خدمات كراوفورد الذى لا يتمتع برتبة رسمية وبألا يذكره فى مكاتباته مع الامام ** . وكانت لندن تخشى بان الوساطة الطوعية من قبل شخص مستقل (كراوفورد) فى العلاقات بين اليمن وبريطانيا ستؤدى الى نفس النتائج المؤسفة التى اسفرت عنها «مهمة جاكوب» فى عام ١٩٢٣ *** . وفى ١١ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٩ بعث سايمز المقيم البريطانى فى عدن ، وفقا لتوجيهات لندن ، الصيغة البريطانية للاتفاقية الى صنعاء ، والتى جاء فى شروطها ان بريطانيا توافق على تأجيل «تسوية مسألة الحدود الجنوبية» حتى بدء المفاوضات التالية . وكان على الامام يحيى ، وفقا للمشروع البريطانى ، ان يعترف «بالعلاقات الخاصة ، بين بريطانيا وبين القبائل التى رسمت حدودها فى عام ١٩٠٥ . وورد فى المشروع البريطانى استدراك بان ذلك لا يعنى ان الامام يحيى يعترف بهذه الحدود ويتخلى عن مطالبه . وفى الوقت ذاته لا يعنى ذلك ان بريطانيا تعترف بمطالبه **** . ولم يسفر تبادل المشروعين عن اية نتائج ايجابية ***** . فكلاهما يفتقران الى التحديد ، فالمسألة

* Ibid., No 35, 44.
** NAI, Yemen series, 1929. Arrongements..., encl. 1 to No 44.
*** NAI, File 37-N, 1930. Reopening of negotiations ..., No. 5.
**** Ibid., No 1.
***** Ibid., encl. 2 to No 16, 18.

الاساسية المختلف عليها ظلت معلقة فى كلا المشروعين اللذين اجلا البت فيهما حتى المفاوضات التالية . علما بانهما يفهمان «المسألة الاساسية» المختلف عليها بشكل متباين . فالامام يحيى لم يتخل عن نيته فى توحيد اليمن كله تحت سلطته ، ووافق فى مشروعه على تأجيل البت فى مسألة تحديد مكانة الاراضى اليمنية الجنوبية التى هى ، فى رأيه ، واقعة تحت الحكم البريطانى بصورة وقتية فقط . اما الصيغة البريطانية التى تضمنت هى الاخرى موافقة على تأجيل البت فى مسألة حدود هذه الاراضى فقد احتوت على تفسير لمكانة تلك الاراضى وفقا لرأى الانجليز الذين كانوا يؤملون فى موافقة نهائية على التقسيم الانكلوعثمانى لليمن .

وانتهى عام ١٩٣٠ كله فى مكاتبات لا نتيجة لها بين صنعاء وعدن ، حيث اصر الامام يحيى على قبول مشروعه * . وعندما رأت الحكومة البريطانية عدم جدوى الاستمرار فى المفاوضات اعلنت للامام فى اواخر آب (اغسطس) ١٩٣٠ من خلال المقيم البريطانى فى عدن انها «لا ترى امكان استئناف المفاوضات الا فى حالة قبول فخامته بالمشروع البريطانى الاخير الذى عرض عليه بمثابة اساس للاتفاقية الانكلويمنية» . وحذرت الحكومة البريطانية الامام يحيى بانها «تحتفظ بالحرية الكاملة لاتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية اراضى الحكام المشمولين بحمايتها» * * . وكان هذا التحذير الذى هو انذار فى الواقع دليلا على المزيد من التشدد فى الموقف البريطانى .

وبتعزيز حامية عدن بسرب من قاذفات القنابل واستئناف حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن بالكامل تقريبا تبدل الوضع فى جنوب الجزيرة بقدر كبير لصالح بريطانيا . وبددت غارات سلاح الجو العدنى آمال الامام يحيى فى توحيد كل الاراضى اليمنية . وبالنتيجة لم تعد حكومة لندن والادارة الاستعمارية فى عدن متحمستين للتعجيل فى توقيع الاتفاقية مع الامام . وكانت وزارة الطيران البريطانية المسؤولة عن الدفاع عن عدن ترى ان حالة

Ibid., encl. 2 to No 18. *

Ibid., No 20, 21, 22. * *

«اللاحرب واللاسلم» هذه انفع من علاقات الوفاق مع الامام من الناحية العسكرية الصرف * . فان هذه الحالة تجعل المفارز اليمنية فى منطقة الحدود فى توتر دائم ، بل وتقلق سكان اليمن كله ، بما فيه العاصمة صنعاء التى انتقل اهاليها الى الضواحى خوفا من قصف الطائرات البريطانية * * . وكان هذا هو رأى المقدم ريلى الذى عين فى عام ١٩٣١ مقيما جديدا فى عدن . فقد كتب فى تقريره الى لندن يقول : «القوات الجوية الملكية تؤمن الدفاع عن المحمية من الآن فصاعدا ، اما الاتفاقية فهى تقيد حريتنا فى القيام بالعمليات الجوية الفورية فى حالة وقوع عدوان او تدخل من جانب الامام» * * * .

وقد استندت ثقة الاوساط الاستعمارية البريطانية فى نفسها ، فى مجال العلاقات مع امام اليمن ، الى كون التناقضات السعودية اليمنية بسبب عسير اشتدت خصوصا فى اواخر العشرينات . ويعود دور غير ضئيل فى اشتداد هذه التناقضات الى الانجليز الذين حاولوا بمختلف الوسائل اشعال الحرب بين اليمن ودولة ابن سعود . ففى ١٩٢٥–١٩٢٦ عرض المبعوثون الانجليز السلاح على ابن سعود ، وفى الوقت ذاته وعدوا الامام يحيى بتقديم الاسلحة والمساعدة ضد ابن سعود . فان بريطانيا التى «توددت» الى ابن سعود وقدمت له المساعدة وعدت اليمن فى الوقت ذاته بحرية التصرف فى عسير اذا تخلى عن اراضى محمية عدن . وبالغت الصحافة الغربية ، وخصوصا البريطانية ، مبالغة شديدة فى التناقضات القائمة بين الدولة السعودية واليمن وتوقعت نشوب حرب لا مفر منها بين البلدين . واشتد الصراع بين الامام يحيى وابن سعود من اجل جنوب عسير ونجران وبلغ اوجه باعلان حماية السعودية لامارة الادارسة . علما بان من التفاصيل الجوهرية فى اتفاقية الحماية السعودية كون ابن سعود

---

* انيطت مسؤولية الدفاع عن عدن بوزارة الطيران فى بداية عام ١٩٢٨ . راجع «التايمس» عددى ١٩٢٨/١/١١ و١٩٢٨/١/٢٣ .

NAI, 1929, Yemen series. Arrangements . . . , No 37. * *

NAI, File 6-N, 1932. Resuption of negotiations for Conclusion of Anglo—Yemen Treaty, No 1. * * *

يتصور امارة الادارسة فى «حدودها المذكورة فى اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩» (١٩٢٠) التى وقعها سلطان نجد ومحمد بن على الادريسى ، اى الحدود التى تضم تهامة اليمن حتى الحديدة ، فضلا عن جنوب عسير * . (كانت تلك الاتفاقية موجهة ضد اعداء ابن سعود والادريسى ـ حكام شمال عسير . ولم ينشر نص الاتفاقية ، لكن المعروف انها اشارت الى الحدود بين نجد وعسير فقط) .

فى البداية حاولت السعودية واليمن حل المسائل الاقليمية المختلف عليها بالمفاوضات . فالامام يحيى فى اليمن وابن سعود فى نجد كانا مشغولين باخماد حركة القبائل ذات الميول الانفصالية ، وكان هذا من اسباب طموح الطرفين الى تسوية سلمية ** .

وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٧ جرى فى صنعاء اول لقاء يمنى سعودى كشف عن وجهتى نظر الطرفين المتعارضتين بالكامل فيما يخص مسألة عسير . فاليمنيون يرون ان اراضى شمال عسير التى احتلتها نجد فى عام ١٩٢٣ ، ناهيك عن جنوب عسير ونجران ، جزء لا يتجزأ من اليمن ، ولذا رفضوا الاعتراف بضم هذه الاراضى الى نجد . اما الوفد السعودى فقد اكد بدوره ان اراضى امارة الادارسة الواقعة حاليا تحت الحماية السعودية تمتد حتى مخا ، وطالب باعادة تهامة اليمن الى الادارسة . بديهى ان ابن سعود كان يدرك عدم واقعية الادعاءات بالساحل اليمنى الذى كافح الامام يحيى فى سبيله سنين طويلة . وكانت تلك ، على الاكثر ، خطوة تكتيكية من جانب الدبلوماسيين السعوديين تهدف الى تثبيت الوضع القائم وضم عسير نهائيا الى نجد *** .

وفى اللقاء التالى الذى جرى فى بداية عام ١٩٢٨ لم يطالب الوفد السعودى بتهامة اليمن بل اقترح تثبيت الوضع القائم

* NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 117. NAI, File 427-N. Yemen Affairs, 1926-27, No 96, 134; NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 120.

** يقول سالم مصطفى ان الهدوء خيم على شمال نجد بعد توقيع الاتفاقية الانكلوسعودية ، لكنه يغفل انتفاضة الاخوان التى كادت تتحول الى حرب اهلية فى نجد . (راجع كتابه «تكوين اليمن» . . . ، ص ٨١) .

*** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . ، ص ٣٤٣ـ٣٤٤ .

ورسم الحدود بين ممتلكات الامام وامارة الادارسة * . وفى حديث انفرادى مع البريجادير جنرال كلايتون فى ايار (مايو) ١٩٢٨ صرح ابن سعود بانه يصر على ضم مقاطعة نجران ومدينة ميدى الواقعة فى تهامة الى اراضيه ** .

وفى عام ١٩٣٠ عزز ابن سعود لدرجة كبيرة مواقعه فى شمال نجران حيث اخمد بالكامل انتفاضة الاخوان التى تزعمها فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير . وكان هذا النصر الذى حققته الدولة السعودية الفتية على سبيل تصفية الفتن والفوضى العشائرية الاقطاعية وتوطيد المركزية قد شوش مخططات المستعمرين البريطانيين الذين حاولوا استخدام حركة الاخوان لاضعاف سلطة ابن سعود . وكان استقرار الوضع فى شمال البلاد وتفرغ قوات كبيرة كانت مشغولة فى عمليات اخماد الحركات المعادية للسعوديين قد مكنا ابن سعود من النشاط فى عسير . فقد قرر ان يحل «عقدة عسير» بضربة واحدة وضم عسير بالكامل الى اراضيه . وفى اواخر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٩ فرض على حسن الادريسى اتفاقية حرمته من سلطته الكاملة ولم تترك له سوى لقب فخرى هو رئيس الحكومة الادريسية . واحالت الادارة الفعلية لجنوب عسير الى امير يعينه ابن سعود والى مجلس تشريعى *** . وحاول ابن سعود تبرير سيطرته على جنوب عسير فصور الامر ، فى رسالة الى الامام يحيى ، وكأن الادريسى عجز عن حكم الامارة وطلب بنفسه اعفاءه من هذه المسؤولية ، ولم يكن امام ابن سعود ، كما قال ، مخرج سوى تلبية طلبه وتحمل عبء حكم بلده **** . وعلقت وزارة الخارجية البريطانية على اتفاقية ١٩٢٩ السعودية الادريسية وقالت : «من وجهة نظر القانون الدولى تعتبر اراضى الادريسى تابعة للملك ابن سعود . ولم يعد

* شرف الدين . اليمن . . . ، ص ٢٨١ ؛ سعيد امين . اليمن . . . ، ص ٨١ .

** NAI, Arabia series, part 5, No 239.

*** NAI, File 78-N of 1931. Assuption by King Ibn Saud of the control of the administration of Asir, encl. 2 to No 1, pp. 6-12.

**** NAI, File 496-N of 1931. Relations between Hejaz and the Yemen, p. 31.

الادريسى فى الواقع شخصية دولية ولا يتمتع باية مكانة فى القانون الدولى» * اما الامام يحيى الذى لم يكن يريد التخلى عن عسير فقد عجل فى العمليات الحربية على الحدود الشمالية لليمن . ففى صيف ١٩٣١ احتلت القوات اليمنية منطقة حدودية فى عسير وقبضت على عدد من الرهائن . واخذ مبعوثون زيديون ينشرون بين قبائل عسير دعوات تهيب بهم للاعتراف بسلطة الامام يحيى .

واستفادت بريطانيا من ازدياد التوتر فى العلاقات اليمنية السعودية وواصلت الضغط على الامام يحيى لحمله على قبول شروطها . وكانت لندن راضية عن الوضع لانها تعتقد ان «سياسة الامتناع عن المفاوضات مع الامام بسبب مطالبته بمحمية عدن قد بررت نفسها تماما» ** .

واضطر الامام الى تغيير موقفه المتصلب ازاء المحمية البريطانية لعلمه باستحالة مواصلة الحرب على جبهتين . وفى ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣١ بعث الامام يحيى الى عدن رسالة اعرب فيها عن موافقته على مواصلة المفاوضات وفقا للشروط البريطانية . ولم يعد يصر على دور الزعيم الدينى لسكان جنوب اليمن فى المشروع الذى عرضه واستند فيه الى آخر صيغة بريطانية للاتفاقية . فقد وافق على مراعاة الوضع القائم وتأجيل تسوية مسألة «الحدود الجنوبية لليمن وجزره فى البحر الاحمر» حتى المفاوضات التالية التى كان مقررا ان تجرى فى فترة سريان مفعول هذه الاتفاقية ، اى فى غضون ٤٠ عاما *** . ويتلخص التعديل الاساسى الذى اجراه الامام فى كونه قد شطب من المادة الثالثة من مشروعه الاقتراح المتعلق باعترافه بحقوق بريطانيا العظمى الخاصة فى امارات اليمن الجنوبية ، واضاف الى تسوية مسألة الحدود الجنوبية مسألة جزر البحر الاحمر ملمحا بذلك الى ان مكانة هذه الجزر ايضا موضع جدل .

وكتب المقيم البريطانى فى عدن ريلى فى تقريره الى وزير المستعمرات الجديد كانليف ليستر عن مشروع الامام : «ان ذلك

* Ibid., pp. 2-3.

** NAI, Yemen series, 1931. Colonial office Letter No 89280/31.

*** NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations for Conclusion of Anglo-Yemen Treaty, encl. 3 to No 1.

خطوة كبيرة تعنى ان الامام قبل من حيث المبدأ بشروط حكومة صاحب الجلالة . ولا موجب للاصرار على الاعتراف الخصوصى بالحدود الانكلوعثمانية او الاتفاقيات مع القبائل ، اذا تلقينا من الامام تعهدا معينا بانه سيعترف ويلتزم بالوضع القائم . ان اقتراح الامام مقبول ما عدا كون الابقاء على الوضع القائم يترك فى يده نصف اراضى العودلى وقسما من الضالع» * . ووافقت الحكومة البريطانية على مواصلة المفاوضات مع الامام ، لكنها فى الوقت ذاته كلفت ريلى بابلاغه بان الاتفاقية الانكلويمنية لن توقع الا اذا ترك الزيديون بالكامل اراضى العودلى وامارة الضالع وانسحبوا الى ما وراء خط ١٩٠٥ ** . وفى نيسان (ابريل) ١٩٣٢ وضع فى لندن المشروع النهائى للاتفاقية الانكلويمنية التى وقعت فى صنعاء فيما بعد مع تعديلات طفيفة . ووافقت بريطانيا فى المادة الثالثة الاساسية للمشروع على تأجيل «تسوية مسألة الحدود الجنوبية لاراضى صاحب الجلالة ملك اليمن» حتى المفاوضات التالية وعلى الالتزام بالوضع القائم على الحدود فى وقت توقيع الاتفاقية *** . وفى ٤ ايار (مايو) ١٩٣٢ ارسل ريلى المشروع البريطانى الى الامام يحيى وعرض شروط توقيع الاتفاقية ، وفقا لتوجيهات لندن ، اى سحب العساكر اليمنية من اراضى العودلى والضالع . واعلن ريلى كذلك ان بريطانيا العظمى لن ترسل ممثلها الى صنعاء ما لم يقبل الامام بالصياغة البريطانية للمادة الثالثة من الاتفاقية **** .

ولم يوفق الامام يحيى فى الاصرار على صياغته للمادة الثالثة ، حيث استدرك مؤكدا على حقه فى جزر البحر الاحمر ***** . ففى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ اخبرت الحكومة البريطانية الامام يحيى من خلال ريلى بان «مسألة مستقبل جزر البحر الاحمر تناولها احد بنود معاهدة لوزان الموقعة بين تركيا والدول الحليفة . وان

* NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations .. No 1, p. 2.

** Ibid., No 13.

*** NAI, File 6-N. Resumption of negotiations ..., No 20.

**** Ibid.

***** Ibid.

بريطانيا العظمى من الموقعين على هذه المعاهدة ولذا يتعذر عليها ان توقع اية اتفاقية تخص هذه الجزر بدون موافقة سائر الحكومات الحليفة التى وقعت تلك المعاهدة . ولهذا السبب لا تستطيع الحكومة البريطانية ان تطرح مسألة هذه الجزر فى اتفاقية منفصلة مع معاليكم ، لان هذه المسألة لا يمكن ان تحل الا بموافقة الحكومات المعنية» * .

ومن المهم ان نتذكر بهذا الخصوص ان الدبلوماسيين البريطانيين قبل ذلك بخمسة اعوام بذلوا فى لقاء روما ١٩٢٧ اقصى الجهود كيلا تثار فى المباحثات مع ايطاليا مسألة المكانة الحقوقية لجزيرة كمران التى احتلها الانجليز فى عام ١٩١٥ ** . ففى تلك الفترة كانت لندن تفضل عدم تذكر المادة ١٦ من معاهدة لوزان التى نصت على ان مستقبل الجزر التى الغى حق تركيا فيها يجب ان يقرر من قبل الاطراف المعنية . ولم يعد الدبلوماسيون البريطانيون يشكون فى ان الامام يحيى سيضطر فى القريب العاجل الى التنازل فى جميع البنود ، وسيوافق فى آخر المطاف على توقيع الاتفاقية وفقا لشروط بريطانيا .

وكانت لهذه الثقة اسباب وجيهة جدا . فالتناقضات اليمنية السعودية التى سعرتها بريطانيا ظلت تتأجج مع ان حادثة العارة ١٩٣١ انتهت بصورة سلمية . فبعد ان تنازل ابن سعود عن النقطة الحدودية المتنازع عليها (جبل العارة) وقعت بين نجد والحجاز واليمن فى ١٥ كانون الاول (ديسمبر) اتفاقية الصداقة وحسن الجوار . واعلن الطرفان عن قيام العلاقات الودية بينهما والتزما بتعزيز اواصر الود وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لبعضهما البعض وعدم منح اللجوء للمجرمين السياسيين وغيرهم وتسليمهم حسب طلب الطرف الآخر *** . الا ان التوتر فى المنطقة المتنازع عليها ظل باقيا رغم الاعلان عن حسن الجوار ، وفى شتاء ١٩٣١–١٩٣٢ دخلت مجموعة من الجند اليمنيين نجران . وفى ربيع

* Ibid.

** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-1927, No 122.

*** Survey of international affairs, 1934, p. 313; شرف الدين ، اليمن . . . ، ص ٢٨٢ .

١٩٣٢ فقط تمكنت القوات الوهابية بقيادة خالد بن لؤى من زحزحة اليمنيين من هذه المنطقة * .

وادى تطور الاحداث اللاحق فى شبه الجزيرة العربية الى اخفاق محاولات اليمن والعربية السعودية نهائيا لتسوية النزاع الاقليمى بالطرق السلمية ** . وفى عام ١٩٣٢ نظم امير شرق الاردن عبد الله بن الحسين حركة ضد السعودية استهدفت بعث سلطة الهاشميين فى الحجاز . وكلف بقيادة العمليات الحربية ضد ابن سعود احد شيوخ قبيلة بلى ، وهو حامد بن سالم بن رفادة الذى كان ينتظر ان يبدأ هجومه على الوهابيين من شرق الاردن . وفى محاولة لتوسيع نطاق العمليات ضد السعوديين اتفق الهاشميون على اشتراك حسن الادريسى فى الحركة ليثأر من السعوديين بسبب اتفاقية ١٩٢٩ الجائرة المهينة . الا ان منظمى الحركة لم يتمكنوا من تنسيق العمليات الحربية المشتركة فى الشمال والجنوب . ولم يحظ تحرك حامد بن سالم فى صيف ١٩٣٢ بتأييد سكان نجد فاخمده ابن سعود بسرعة *** . اما حركة اهالى عسير التى افرد لها الهاشميون دورا ثانويا فقد كانت اكثر خطورة واستمرت فترة اطول من الحركة فى الشمال . والسبب هو ان اهالى عسير كانوا متذمرين جدا من تعسف الموظفين السعوديين ومن النير المزدوج للاقطاعيين المحليين والوهابيين الذين كانوا يتصرفون فى عسير كالفاتحين . ولذا حظيت دعوة حسن الادريسى فى التحرك ضد ابن سعود بصدى واسع فى عسير . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٢ تمكن الادارسة من الاستيلاء على مدن كبيرة فى عسير هى جيزان والصبية وابو عريش . وطوقوا وابادوا القوات السعودية التى ارسلت عن طريق البحر لاخماد الحركة . واخفقت كذلك محاولات ابن سعود لاخماد الحركة بشن حملتين حربيتين كبيرتين على جبال عسير (منطقة ابها) وعلى

* Philby H. Saudi Arabia. London, 1955, p. 322.

** فى ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ اصدر ابن سعود مرسوم توحيد اجزاء المملكة العربية واطلق على الدولة بموجبه اسم العربية السعودية .

*** Faroughi A. op. cit., p. 68; Wenner M., op. cit., pp. 144-145.

الساحل . وفقد الوهابيون اكثر من الفى قتيل ، ما عدا الجرحى ، فاضطروا الى الانسحاب مؤقتـــا . وحتى اواخر كانـــون الاول (ديسمبر) ١٩٣٢ سيطر الادارسة على قسم كبير من عسير .

ولكن سرعان ما اتضح ان الادارسة عاجزون عن الصمود امدا طويلا فى وجه خصمهم الاقوى ، فالقوى لم تكن متعادلة اطلاقا . وازاح الوهابيون عساكر الادارسة الى الجبال ، وفى اواخر شباط (فبراير) ١٩٣٣ اخمدت آخر مقاومة من جانب القبائل * . وفـر الادارسة من زعماء حركة عسير الى اليمن ، وظهرت فى العلاقات اليمنية السعودية المتوترة اصلا مشكلة جديدة هى تسليـــم الادارسة .

كان الامام يحيى صريحا فى عدم تأييده للحركة فى عسير ، وقد رفض الاتهامات القائلة بان له ضلعا فيها . ولكن عندما فر الادارسة الى اليمن منحهم حق اللجوء السياسى ورفض تسليمهم الى ابن سعود خلافا لبنود اتفاقية ١٩٣١ اليمنية السعودية ** . واستقر حسن الادريسى على مقربة من مدينة حرض اليمنية وشرع يمارس النشاط المضاد لابن سعود بتشجيع خفى من الامام يحيى . ورد ابن سعود على ذلك بقرار الغاء امارة الادارسة وضمها نهائيا الى العربية السعودية . وحرم الادريسى حتى من السلطة الشكلية الصرف التى كان يتمتع بها فى جنوب عسير *** .

ولم تخفف التوتر فى المنطقة المتنازع عليهـــا المفاوضات اليمنية السعودية التى جرت فى اذار (مارس) ١٩٣٢ فى ميدى اولا ثم فى صنعاء . فقد ظل اليمن مصرا على المطالبة بحقه فى عسير ونجران . وبغية جعل ابن سعود يواجه الامر الواقع دخل اليمنيون نجران من جديد فى نيسان (ابريل) ١٩٣٣ واحتلوا القســـم الشمالى الغربى منها **** .

وغدت الصدامات المسلحـــة المتكررة فى المنطقة المتنازع عليها اكثر خطورة وظهر احتمال تحولهـــا الى حرب بين اليمن

* Survey of international affairs, 1934, p. 315.

** شرف الدين . اليمن . . . ، ص ٢٨٤ .

*** امين سعيد . اليمن . . . ، ص ٨٥ .

**** Survey of international affairs . . . , p. 316.

والعربية السعودية . وفى هذا الموقف الحرج الذى لعب المخبرون البريطانيون دورا كبيرا فى خلقه ، اعلنت بريطانيا للامام يحيى من خلال مقيمها فى عدن «ان حكومة صاحب الجلالة لا توافق على ادراج اية أشارة الى جزر البحر الاحمر ضمن الاتفاقية» وحذرت بريطانيا الامام من «ان مشروع الاتفاقية المعروض عليه هو آخر اقتراح من الحكومة البريطانية ، فهى لا تنوى الاقدام على تنازلات بعد الآن» * . وجعل الدبلوماسيـــون البريطانيون الامام يحيى امام امرين لا ثالث لهما : فاما ازدياد التوتر على الحدود الجنوبية وخطر غارات الطائرات الدائم من عدن واما توقيع الاتفاقية وفقا للشروط البريطانية .

واضطر الامام للموافقة على جميع شروط بريطانيا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٣ بسبب خطر الحرب الوشيكة مع ابن سعود . وفى تلك الآونة تأزم الموقف لدرجة اكبر فى المنطقة المتنازع عليها ، لان القوات اليمنية توغلت فى نجران واحتلت بدر التى هى مركز كبير . وردا على هذه العمليات اصدر ابن سعود امرا بتحشيد قوات كبيرة فى عسير وبعث الى الامام انذارا يطالبه فيه بسحب القوات اليمنية من الاراضى التى احتلتها ** .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٣ ، عندمـــا نشبت فى المنطقة المتنازع عليها صدامات مسلحة متقطعة دون ان يزج فيها بالقوات الاساسية للعربية السعودية واليمن ، دعا الامام يحيى وفدا بريطانيا الى صنعاء لتوقيع الاتفاقية الانكلويمنية . وفى اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٣ وصلت الى العاصمة اليمنية بعثة بريطانية برئاسة ريلى المقيم البريطانى فى عدن . ولم يكن نص الاتفاقية الانكلويمنية الذى جلبه ريلى بغرض توقيعه قابلا للمناقشة ، ولذا دارت المفاوضات فى صنعاء اساسا حول مسألة سحب المفارز اليمنية من اراضى العودلى والضالـــع . وافادت حسابات الادارة فى عدن ان تلك الاراضى تضم ٦٤ قرية للعودلى و٨ قرى لامارة الضالع . ولم يوافق ريلى على توقيع الاتفاقية الا بعد ان انسحبت القوات اليمنيـــة بأمر من الامام يحيى من تلك

* NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations ..., No 61.

** Faroughi A., op. cit., pp. 69-70.

الاراضى الى ما وراء حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن . وهكذا استعاد المستعمرون البريطانيون بالاساس (ما عدا امارة البيضاء التى ظلت بيد الامام) حدود ١٩٠٥ اليمنية العدنية التى نشأت فى بداية القرن العشرين بنتيجة تقسيم اليمن بين بريطانيا وتركيا .

وفى ١١ شباط (فبراير) ١٩٣٤ تم توقيع الاتفاقية الانكلويمنية التى اعترفت بريطانيا بموجبها باستقلال اليمن . واتفق الطرفان على عدم الاخلال بحالة الحدود القائمة فى وقت توقيع الاتفاقية ووافقا على تأجيل «تسوية مسألة حدود اليمن الجنوبية» حتى المفاوضات التالية التى يتعين ان تجرى قبل انتهاء مفعول الاتفاقية ، اى فى غضون ٤٠ عاما * . ومع ان الامام يحيى لم يعترف ، ضمن الاتفاقية ، بشرعية الحماية البريطانية على امارات جنوب اليمن فان موافقته الاضطرارية على عدم تغيير الوضع القائم تعنى الموافقة على واقع حدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن . وعندما اقدم الامام يحيى على هذه المساومة كان يؤمل بان يتمكن ، بعد وقف الصراع من اجل مناطق اليمن الجنوبى ، ان يوجه كل قواته صوب الحدود الشمالية حيث يجب ان تحل نهائيا ، بينه وبين ابن سعود ، مسألة عائدية جنوب عسير ونجران .

اما الادارة فى عدن فقد كانت مرتاحة تماما لتوقيع الاتفاقية . فقد حققت بريطانيا بالاساس ما ارادته بعد الحرب العالمية الاولى . واستخدم المستعمرون البريطانيون لبلوغ اهدافهم مختلف الوسائل ابتداء من شراء ذمم القبائل وتدبير الفتن والعصيان ضد الامام يحيى وانتهاء بغارات سلاح الجو العدنى على المدن اليمنية وتأجيج التناقضات السعودية اليمنية . وكان المستعمرون البريطانيون يتوخون ، من وراء توقيع الاتفاقية مع اليمن ، اهدافا بعيدة المدى . فان ابقاء الوضع القائم على الحدود يفصل عن اليمن اراضيه الجنوبية لامد طويل ويعزل داخله عن منافذ المحيط الهندى . وكان استئناف حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن يؤمن حماية مضمونة من المؤخرة للمستعمرة البريطانية

* Reilly B., op. cit., p. 73.

الهامة من الناحية الاستراتيجية وللقاعدة العسكرية البحرية فى عدن . والى جانب ذلك فعندما ضمنت بريطانيا للامام يحيى الهدوء والاستقرار على حدوده الجنوبية فى فترة اشتداد حدة التناقضات اليمنية السعودية قد دفعت الامام فى الواقع الى الحرب مع العربية السعودية .

وحتى تلك الفترة عزز ابن سعود لدرجة كبيرة مواقع دولته داخليا وعلى صعيد السياسة الخارجية . ففى عام ١٩٢٩ اعترفت المانيا باستقلال دولته ، كما اعترفت به فرنسا فى ١٩٣١ وايطاليا فى ١٩٣٢ . وفى ايار (مايو) ١٩٣٣ رفض ابن سعود منح الانجليز امتياز التنقيب عن البترول فى المناطق الشرقية من نجد وقدم امتيازا طويل الامد لشركة «ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا» الاميركية . واخذ النفوذ البريطانى فى العربية السعودية يضعف بصورة ملحوظة تاركا المجال للنفوذ الاميركى ، وصار ابن سعود يتخلص من تأثير بريطانيا اكثر فاكثر . وكان على الحرب اليمنية السعودية التى استنزف الطرفان قواهما فيها ان تساعد بقدر ما ، حسب مخططات المستعمرين البريطانيين ، على استعادة المواقع المفقودة .

وهيأ تجميد الاوضاع على الحدود الجنوبية الفرصة للامام يحيى لينشط جهوده من اجل عسير ونجران . فقد اخذت القوات اليمنية بقيادة الامير احمد تتوغل فى نجران واحتلت اراضى قبائل بنى مالك والعبادلة * . وبدأت تشارك فى هذا النزاع الاقليمى قوات سعودية كبيرة ، حيث ارسل ابن سعود الى المنطقة المتنازع عليها قوات بقيادة ولديه سعود وفيصل . واستخدم ولى العهد الامير سعود الناقلات المصفحة ونقل قواته بسرعة الى نجران المحتلة من قبل اليمنيين ، اما فيصل فقد قاد القوات الزاحفة صوب ساحل عسير .

وفى لقاء ابها الذى جرى بين اليمنيين والسعوديين فى شباط (فبراير) ١٩٣٤ ، والذى كان فى الواقع آخر محاولة من الطرفين لتسوية النزاع بالطرق السلمية ، رفض الوفد اليمنى اقتراح ابن سعود بتحويل نجران الى منطقة محايدة ** .

* راجع سالم ، مصطفى ، تكوين اليمن . . . ، ص ٣٧٨ .
** Wenner M., op. cit., p. 145.

فبعد ان عزز الامام يحيى مؤخرة قواته بتوقيع الاتفاقية مع بريطانيا لم يعد يشك فى قدرته على ضم عسير ونجران الى اراضيه . الا انه ، كما بين سير الاحداث لاحقا ، لم يأخذ بعين الاعتبار التغيرات التى حدثت فى العربية السعودية خلال السنوات الاخيرة .

فقد اعاد ابن سعود تنظيم جيشه لدرجة كبيرة وجعله عصريا . وعندما استلم مبلغا ضخما بمقاييس ذاك الزمان لقاء امتيازات البترول انفقه على اقتناء الاسلحة الجديدة والمدرعات المزودة بالرشاشات ، مما جعل الجيش السعودى اكثر قدرة على الحركة واقوى من عساكر الامام يحيى التى كانت مسلحة فى الغالب ببنادق عتيقة .

وقرر ابن سعود ان يستفيد من تفوقه العسكرى ومن عدم نقل كل القوات اليمنية حتى ذلك الحين من الحدود الجنوبية الى عسير . وانذرت العربية السعودية الامام يحيى فى ٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٤ مطالبة بسحب قواته من نجران وجنوب عسير * . وبعد انتهاء مدة الانذار بدأت القوات السعودية هجومها برتلين ، قاد الاول الامير فيصل على امتداد ساحل البحر الاحمر ، وقاد الثانى سعود الذى سدد الضربة الى القوات اليمنية المتحشدة فى نجران . وتقررت نتيجة الحرب منذ بداية العمليات بالهجوم السريع الحازم للقوات السعودية التى تقدمت اساسا بالسيارات . واخترقت قوات فيصل التحصينات اليمنية قرب حرض واحتلت ميدى فى ٢٦ نيسان (ابريل) . وهيأ هذا النصر لفيصل فرصة التقدم نحو الحديدة دون عائق ، لان قوات اليمنيين الرئيسية كانت متحشدة فى المنطقة الجبلية .

وطلب الامام يحيى هدنة ووافق على سحب قواته من نجران ، بعد ان وجد نفسه عاجزا عن مقاومة هجوم القوات السعودية الكاسح ** . وكان تكتيكه فى فترة الحرب اليمنية السعودية يتلخص فى تحاشى الصدامات الكبيرة والحفاظ على قواته الى اقصى حد . الا ان ابن سعود لم يسارع الى وقف اطلاق النار . فقد واصلت قوات سعود الهجوم وحررت نجران من اليمنيين فى

* Philby H., op. cit., pp. 322-323.

** Survey of international affairs . . . , p. 317.

٢٧ نيسان وزحفت نحو معقل الزيديين فى صعدة . الا ان اليمنيين بقيادة الامير احمد اوقفوا زحف القوات السعودية فى معركة بكيم التى هى اكبر معركة فى الحرب اليمنية السعودية * . وفى الاول من ايار (مايو) احتلت قوات فيصل ميناء لحيا وفى ٤ منه دخلت الحديدة دون قتال ، فقد تركتها قوات الامام .

ولم تكن الفوارق الجغرافية فى تضاريس المنطقتين اللتين قاتلت فيهما قوات نجلى ابن سعود هى السبب الوحيد لسرعة تقدم فيصل فى سهل تهامة وقلة انتصارات سعود فى المناطق الجبلية . فالشافعيون من اهالى تهامة اليمن كانوا يعادون الزيديين من زمان ، ولذا لم يحولوا دون تقدم قوات فيصل . اما قوات سعود فقد واجهت وضعا مغايرا . فبعد ان حررت نجران تعين عليها ان تقاتل فى مناطق زيدية ايد سكانها بنشاط جيش الامام يحيى .

وفى ١٣ ايار (مايو) فقط ، بعد ان نفذت القوات السعودية مهماتها ، وافق ابن سعود على وقف اطلاق النار ** . فالاستمرار فى العمليات الحربية صار يهدد بصدام مع القوات الاساسية فى اليمن ، اى مع قبائل الجبل الزيدية المتميزة بالشهامة والبسالة . وكانت مساحة الاراضى اليمنية المحتلة كافية لكى يستخدمها ابن سعود من اجل الحصول على تنازلات سياسية واقليمية من الامام يحيى . وكان من اسباب امتناع ابن سعود عن مواصلة الزحف على الساحل اليمنى ظهور سفن حربية انجليزية وفرنسية وايطالية فى مرفأ الحديدة ، وكان بوسعها ان تتدخل فى النزاع اليمنى السعودى فى اية لحظة بحجة «حماية» الاجانب المقيمين فى اليمن . وكان استمرار تقوى ابن سعود الذى قد يحذو حذو الملك حسين ويدعى بانه ملك العرب وامير المؤمنين امرا يتعارض مع مصالح الدول الغربية التى كانت مجمعة على شق العالم العربى وتجزئته الى دويلات او كيانات كثيرة ضعيفة ومتعادية فيما بينها .

وفى ١٨ آيار (مايو) بدأت مفاوضات الصلح السعودية اليمنية فى الطائف بوساطة وفد المجلس الاسلامى الاعلى .

* Ibid.

** Philby H., op. cit., p. 323.

وبنتيجة هذه المفاوضات وقعت فى ٢٠ ايار ١٩٣٤ «اتفاقية الصداقة الاسلامية والاخوة العربية» بين اليمن والسعودية . واعلنت الاتفاقية عن نهاية الحرب وعن قيام العلاقات الودية السلمية بين البلدين . واعترف الطرفان باستقلال وسيادة بعضهما البعض . وتخلى الامام يحيى عن حقه فى الاراضى العائدة للادارسة وشيوخ عايض وقبائل نجران ويام .

وورد فى المادة الرابعة من الاتفاقية عرض تفصيلى للحدود الرسمية بين دولتى اليمن والعربية السعودية . وتضمنت الاتفاقية تفاصيل العلاقات المتبادلة بين الدولتين ، بما فيها اساليب حل الخلافات وكيفية تسليم المجرمين والصلات التجارية والنظام الجمركى وهلمجرا * . ووفقا لاتفاقية الطائف انسحبت القوات اليمنية من عسير فى اواخر ايار (مايو) ١٩٣٤ ، وفى ٥ حزيران (يونيو) جرى تسليم الادارسة للسلطات السعودية . وبعد ابرام الاتفاقية تركت القوات السعودية فى ١٤ آب (اغسطس) الاراضى اليمنية التى احتلتها ** .

وفى عام ١٩٣٥ رسمت اللجنة الحدودية السعودية اليمنية على الطبيعة خط الحدود على مسافة ٤٠٠ ميل من البحر الاحمر (تركت مدينة ميدى لليمن) حتى صحراء الربع الخالى . وبعد تعديل طفيف وافق عليه الطرفان فى عام ١٩٣٥ اتخذت الحدود السعودية اليمنية شكلها الذى بقيت عليه حتى الآن *** .

ولوحظ تدهور فى الاوضاع المالية للعربية السعودية التى انفقت على الحرب مع اليمن اغلب ما استلمته من اموال مقابل الامتيازات . ولذا اضطرت السعودية على الرضوخ لضغوط بريطانيا فمنحت فى عام ١٩٣٦ امتيازا «لشركة نفط العراق» للتنقيب عن البترول فى الحجاز وعسير .

اما الامام يحيى الذى انشغل بالنزاع مع ابن سعود فقد اضطر على التخلى عن جهوده لاستعادة اراضى اليمن الجنوبى واعترف بواقع تقسيم اليمن الى شطرين — جنوبى وشمالى .

---

* Wenner M., op. cit., pp. 146-147.

** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ٣٢٣–٣٢٤ .

*** Philby H., op. cit., p. 324; Philby H., Arabian jubilee. L. 1952, pp. 187-188.

خاتمة

اتخذت السياسة الاستعمارية البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية شكلا هجوميا بعد انجاز شق قناة السويس فى عام ١٨٦٩ حيث ازداد كثيرا الدور الاستراتيجى العسكرى والتجارى للبحر الاحمر الذى صار اقصر طريق بحرى يربط اوربا بآسيا وشرق افريقيا . وبحجة تأمين سلامة الطرق البحرية التى تربط بريطانيا باكبر مستعمراتها استخدم المستعمرون البريطانيون عدن التى احتلوها فى عام ١٨٣٩ بمثابة رأس جسر لتعزيز مواقعهم فى اليمن بل ولتوسيعها . وبالتدريج فرضوا على اتحادات القبائل اليمنية الجنوبية اتفاقيات الحماية البريطانية وشكلوا بذلك شبكة «محميات عدن» .

وبعد افتتاح قناة السويس بدأت المرحلة الثانية كذلك فى التوسع العثمانى فى شبه الجزيرة العربية ، وهى المرحلة التى اختتمت بتحويل القسم الشمالى من اليمن الى ولاية للامبراطورية العثمانية فى عام ١٨٧٢ . وكانت الاوساط الاقطاعية فى الامبراطورية وعلى رأسها السلطان العثمانى تسعى الى الاثراء من نهب الشعب اليمنى عن طريق مختلف الاتاوات والضرائب والزكاة . زد على ذلك ان السيطرة على التجارة الخارجية اليمنية ، ومنها احتكار تصدير البن اليمنى الشهير ، كانت تبشر بمداخيل ضخمة للوجهاء العثمانيين . وبالاضافة الى المنافع الاقتصادية كان اخضاع اليمن الواقع على مقربة من الحرمين الشريفين مكة والمدينة يستجيب للاهداف الدينية والسياسية

للسلطان العثمانى الذى حاول ان يبسط نفوذه كخليفة ليس فقط على اهل السنة فى اليمن ، بل وكذلك الشيعة الذين يشكلون السواد الاعظم من السكان . وكان من الاسباب الهامة للتدخل العثمانى فى اليمن محاولة السلطان العثمانى لاعاقة توغل بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية .

وادى توسع المستعمرين البريطانيين فى اليمن من الجنوب والتوسع العثمانى من الشمال فى وقت واحد الى اصطدام مصالح بريطانيا والامبراطورية العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة . وطوال ثلاثين عاما كانت الاوساط الحاكمة العثمانية التى تدعى بالسيطرة على اليمن كله ، ومناطقه الجنوبية ايضا ، ترفض الاعتراف بالحماية البريطانية لامارات جنوب اليمن . وفى الفترة الاولى من الصراع الانكلوعثمانى من اجل السيطرة على جنوب الجزيرة العربية لم تكن بريطانيا تخشى تجاور الممتلكات العثمانية مع محمياتها فى جنوب الجزيرة ومستعمرة عدن . ولكن بحلول عصر الامبريالية حيث اشتد لدرجة بالغة الصراع من اجل تقسيم العالم واقتسامه مجددا اعادت الاوساط الحاكمة البريطانية النظر فى سياستها ازاء الامبراطورية العثمانية . فلئن كانت بريطانيا فى السابق لا تعترض على السلطة الاسمية للسلطان العثمانى على ساحل البحر الاحمر الشرقى فان الانجليز عولوا على تجزئة الامبراطورية العثمانية والاستيلاء على ممتلكاتها العربية عندما تحولت الاستانة الى حليف لالمانيا وعندما ازداد خطر استيلاء المانيا على الولايات العربية . وفى اطار هذه السياسة اخذ المستعمرون البريطانيون يؤيدون تحركات القبائل اليمنية ضد العثمانيين ويزودونها بالسلاح والذخيرة . لكن المستعمرين البريطانيين فى الوقت ذاته حاولوا تقييد نطاق الحركة التحررية بل وسعوا الى شقها وتحويلها الى نضالات محلية منفصلة ، وذلك انطلاقا من كون النضال التحررى للشعب اليمنى الذى اتسم آنذاك بطابع معاد للعثمانيين يمكن ان ينتقل الى المحميات العدنية ويوجه ضد بريطانيا نفسها . وتجلت فى ذلك بشكل واضح رجعية الامبريالية البريطانية وازدواجية موقفها من الحركة التحررية فى اليمن .

فى مطلع القرن العشرين استفادت بريطانيا من صعوبات

الوضع الدولى الذى واجهته تركيا فارغمت الباب العالى على التخلى عن مطامعه فى امارات جنوب اليمن والموافقة على رسم الحدود بين ولاية اليمن والمحميات العدنية . واسفرت هذه الحدود التى تميز رسمها بكون بريطانيا وتركيا قد تقاسمتا ارضا ليست عائدة لهما عن تقسيم اليمن رسميا الى شطرين بعد ان كان موحدا فى زمن ما . وهكذا ظهر اليمن الشمالى (العثمانى) واليمن الجنوبى (البريطانى) . ولما كانت الحدود قد رسمت بنتيجة صراع انكلوعثمانى شديد من اجل كسب اكبر مساحة من الاراضى فقد غدت بالطبع حدودا مفتعلة . ولم يراع الطرفان اثناء رسمها كون السكان المقيمين على كلا جانبيها مترابطين ترابطا وثيقا بالاواصر الاقتصادية والثقافية والقبلية التقليدية . وبينت دراسة الوثائق الارشيفية ان السكان المحليين ابدوا مقاومة شديدة لتقسيم اليمن اعتباطا . وحاول الجغرافيون الغربيون اخفاء هذه الحقيقة بكل الوسائل .

وساعدت المواد الارشيفية فى القاء الاضواء على الجوانب غير المعروفة لحد الآن من القتال الانكلوعثمانى والصراع الدبلوماسى اثناء رسم الحدود بين اليمن وعدن ، كما اوضحت كيف تمكن المستعمرون البريطانيون الذين استخدموا السلاح والشانتاج والضغط الدبلوماسى وتدبير القلاقل والعصيان على العثمانيين فى شمال اليمن من الحصول على حدود نافعة لهم . ولا يعنى تعيين الحدود بين اليمن وعدن ان بريطانيا او تركيا مارستا السيطرة التامة على الاراضى التى غدت «عثمانية» او «بريطانية» بنتيجة ذلك . فالادارة العثمانية فى ولاية اليمن لم تكن تتمتع بالسلطة الفعلية الا فى الساحل وفى بضع مدن كبيرة ، اما القسم المتبقى من الاراضى فقد ظل فى الواقع تحت سيطرة الائمة الزيدية الذين تزعموا الحركة التحررية المناهضة للاتراك فى اليمن . اما بريطانيا فلم تكن تتمتع بالسلطة الفعلية الا فى اطار مستعمرة عدن . ونظرا لكون الاحتلال المباشر لجنوب الجزيرة العربية واخضاع القبائل اليمنية المحبة للحرية يحتاج الى عدد كبير من القوات والى اموال طائلة فقد استخدم المستعمرون البريطانيون التكتيك المحبب لديهم ، تكتيك «الادارة غير المباشرة» الذى يتلخص فى شراء ذمم شيوخ

القبائل اليمنية الجنوبية وتأجيج العداء بين القبائل ومختلف الطوائف الدينية وعزلها عن العالم الخارجي واعاقة اية اتجاهات وميول تساعد على توحيد الاراضى اليمنية فى دولة واحدة . وكان المستعمرون البريطانيون يراقبون ويتابعون باهتمام النضال ضد العثمانيين فى شمال اليمن حيث انضمت بعض القبائل الشافعية الى القبائل الزيدية المكافحة ضد السيطرة العثمانية . واثارت هذه الظاهرة قلقا شديدا لدى الادارة فى عدن لان التعاون بين ابناء الطوائف المتعادية من قديم الزمان ينطوى على بواكير التلاحم القومى الناشئ[4] .

وسارت الحركة التحررية فى اليمن الذى تميز بوجود بقايا كبيرة من العلاقات العشائرية والاقطاعية تحت شعار احياء الشريعة الاسلامية وحمايتها . الا ان الاقطاعيين الزيديين حصلوا فى مرحلة معينة (١٩١١) على تنازلات نافعة لهم من جانب الباب العالى فاقدموا على التواطؤ مع الادارة العثمانية وسلكوا نهج تقليص الحركة التحررية المتسعة التى كان بوسعها ان تتحول فى تطورها اللاحق ضد هؤلاء الاقطاعيين انفسهم . وكان من نتائج هذا الموقف المزدوج عند زعماء الزيدية سعيهم الى الحيلولة دون تطور العلاقات الاجتماعية التقدمية والفكر التقدمى فى اليمن .

وابان الحرب العالمية الاولى استهدفت سياسة بريطانيا تجاه الجزيرة العربية فرض السيطرة السياسية التامة عليها . فالمستعمرون البريطانيون كانوا يريدون محاربة العثمانيين بايدى العرب وحاولوا استمالة حكام الجزيرة الذين استخدموهم ليس فقط فى العمليات الحربية ضد الاتراك ، بل وبمثابة حجاب حاجز يحول دون دخول «حلفاء» بريطانيا الى الجزيرة العربية .

وبعد الحرب العالمية الاولى غدت كل اراضى الجزيرة العربية تقريبا تحت سيطرة بريطانيا بصورة مباشرة او غير مباشرة . ولم يتخلص من تلك السيطرة الا اليمن ، لكن ذلك لا يعنى بانه كسب الاستقلال السياسى التام . فالمستعمرون البريطانيون عزلوا اليمن عن منافذ البحر وحاولوا وضعه هو ايضا فى تبعية اقتصادية وسياسية لبريطانيا .

وساعدت الوثائق الارشيفية التى درسناها فى الكشف عن

مخططات بريطانية غير معروفة حتى الآن ازاء اليمن والجزيرة العربية بأسرها ، وهى مخططات تهدف الى عزل امارات الجزيرة عن منافذ البحر وتقطيع الصلات الاقتصادية والتجارية التقليدية وتجزئة الجزيرة وتحويلها الى ضيعة من ضياع بريطانيا . وحاول المستعمرون البريطانيون ان يبدلوا حتى المفهوم الجغرافى والتاريخى «لليمن» وحصره فى اطار المناطق الزيدية ، اى انهم سعوا الى تجزئة اليمن وتقطيع اوصاله على اساس طائفى .

الا ان نهوض حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى (لا سيما فى الجزيرة العربية) والتى ارتبطت باشتداد حدة التناقضات بين الدول الاستعمارية والبلدان التابعة وتلقت دافعا قويا بانتصار الثورة فى روسيا قد اعاق المستعمرين البريطانيين عن تنفيذ خططهم التوسعية بالكامل .

وشهدت الحركة التحررية فى اليمن بعد الحرب العالمية الاولى بداية مرحلة جديدة نوعيا من خصائصها ليس فقط تحول النضال ضد المحتلين البريطانيين انفسهم وضد صنائعهم ، بل وكون هذا النضال قد استهدف توحيد كل الاراضى اليمنية (بما فيها الواقعة تحت الحماية البريطانية) وتأسيس دولة مستقلة حقا .

وبتأثير حركة التحرر الوطنى المتسعة باطراد وارتفاع منزلة الجمهورية السوفييتية الفتية التى دحرت الدخلاء واقامت علاقات متكافئة مع تركيا وايران وافغانستان اضطر المستعمرون البريطانيون الى التخلى عن الاشكال السابقة السافرة للتوسع الاستعمارى والبحث عن واجهة جديدة لسياستهم الاستعمارية . ولم تتجرأ بريطانيا على استخدام القوة الفظة ضد مفارز الامام يحيى التى احتلت بعض اراضى محميات عدن فاتخذت عدة اجراءات دبلوماسية استهدفت جر اليمن الى فلك النفوذ البريطانى .

وكانت هناك خلافات ذات طابع تكتيكى بين الاوساط الحاكمة البريطانية بشأن ما يسمى «بالمشكلة اليمنية» . وتتعلق تلك الخلافات بالتنازلات التى اضطر المستعمرون البريطانيون على القيام بها لحمل الامام يحيى على التخلى عن جهوده من اجل توحيد الاراضى اليمنية . فقد اقترحت الادارة فى عدن ممارسة الشانتاج الدبلوماسى باستخدام ميناء الحديدة الهام الذى احتلته

القوات البريطانية وكانت تأمل فى جعل الامام يحيى يسحب قواته من محميات عدن ويوافق على استئناف حدود ١٩٠٥ اليمنية العدنية فى مقابل اعادة الحديدة اليه . ولم تعلق لندن والحكومة الانكلوهندية من انصار الصيغة الثانية اهمية كبيرة على استئناف حدود ١٩٠٥ وكانوا يتصورون احتمال «التنازل» للامام عن قسم غير كبير من اراضى المحميات ، وهو القسم الذى تحتله القوات اليمنية . علما بانهم اصروا على عزل اليمن عن منافذ البحر الاساسية (اى انهم لم يوافقوا على تسليم الحديدة) ، وكانوا يؤملون فى توجيه التجارة الخارجية اليمنية كلها بصورة مفتعلة صوب عدن وجعل هذا الميناء المنفذ التجارى الخارجى الوحيد لليمن .

الا ان القول الفصل فى تقرير مصير اليمن كان بيد اليمنيين انفسهم ، خلافا لشتى مخططات وصيغ المستعمرين البريطانيين الذين كانوا يأملون فى «التساوم» مع الامام يحيى . ففى عام ١٩٢٦ اخترقت المفارز اليمنية الحصار ووصلت الى البحر الاحمر وحررت الحديدة ، بل وتوغلت فى اراضى محميات عدن . ولم يتمكن المستعمرون البريطانيون من الحيلولة دون تعزيز وتوسيع الدولة اليمنية المستقلة رغم وسائل الضغط المختلفة التى استخدموها ابتداء من المحاولات الدبلوماسية وانتهاء بتدبير الفتن ضد الامام وتزويد الانفصاليين بالسلاح .

واسفر توقيع اتفاقية ١٩٢٦ بين الامام يحيى وايطاليا التى اخذت تزود اليمن بالسلاح والذخيرة انطلاقا من مصالحها الامبريالية عن اشتداد التناقضات الانكلوايطالية لدرجة كبيرة فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر . فالمستعمرون الايطاليون شجعوا الامام يحيى فى جهوده من اجل توحيد الاراضى اليمنية وكانوا يأملون من وراء ذلك فى تعزيز مواقعهم عند المنفذ الجنوبى من البحر الاحمر الذى يتسم بأهمية بالغة بالنسبة لبريطانيا ويتمنون استخدامه فى الضغط على لندن للحصول من «شريكتهم» القوية ، مقابل تنازلات معينة ، على تعويضات مناسبة فى مناطق اخرى (البحر الابيض المتوسط والحبشة وشمال افريقيا) حيث توجد للامبريالية الايطالية مصالح اكبر مما فى جنوب الجزيرة العربية .

لقد اشتدت التناقضات الانكلوايطالية بسبب اليمن فى ١٩٢٦–

١٩٢٧ ، لكنها لم تستمر على حدتها لان بريطانيا الساعية الى استخدام الفاشية الايطالية ليس فقط كمعقل ضد القوى الثورية فى اوربا ، بل وكقوة تواجه النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط ، قد اقدمت على بعض التنازلات لايطاليا فى الحبشة والبلقان .

ومن اواسط العشرينات استهدفت سياسة بريطانيا ازاء الجزيرة العربية اعاقة قيام اية علاقات بين الحكام العرب والاتحاد السوفييتى . وتشير الوثائق الارشيفية التى بادرنا الى وضعها فى متناول العلماء الى مدى الضغط الذى مارسته لندن على ابن سعود ليغلق الممثلية السوفييتية فى جدة ، ومورس ضغط مماثل على اليمن الذى اخذ يقيم اتصالات مع ممثلى الاتحاد السوفييتى ابتداء من عام ١٩٢٦ . علما بان المستعمرين البريطانيين لم يكتفوا بالاجراءات ذات الطابع الدبلوماسى . فقد انتقلوا اعتبارا من عام ١٩٢٧ الى التهديد باستخدام القوة ، وقد انهالوا فى عام ١٩٢٨ بقصف وحشى على مدن اليمن الشمالى فضلا عن المواقع الامامية للقوات اليمنية . واضطرت المفارز اليمنية فى ذلك القتال غير المتكافئ على الانسحاب من المناطق الجنوبية الى ما وراء حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن ، ومع ذلك لم يتمكن المستعمرون البريطانيون من الحيلولة دون توقيع الاتفاقية اليمنية السوفييتية .

وقدم الاتحاد السوفييتى للشعب اليمنى فى وقت عصيب بالنسبة له مساعدة نزيهة خالصة ساعدت على قيام الدولة اليمنية المستقلة . وبالاضافة الى ذلك اثرت اقامة العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والحجاز واليمن على السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية التى اضطرت للاقدام على طائفة من التنازلات للحركة التحررية فى شبه الجزيرة العربية .

ولم يتم قيام اليمن المستقل فى حدوده الراهنة (الجمهورية العربية اليمنية حاليا) الا فى عام ١٩٣٦ . وقد اضرم المستعمرون البريطانيون نار التناقضات اليمنية السعودية واثاروا الفتن داخل الدولة اليمنية وارغموا الامام يحيى على توقيع اتفاقية ١٩٣٤ التي وافق بموجبها على عدم المساس بالاوضاع القائمة

فى المنطقة الحدودية طوال ٤٠ عاما ، اى انه اعترف مؤقتا بواقع حدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن .

وبعد انتهاء الحرب اليمنية السعودية التى لعبت بريطانيا الدور الاساسى فى اضرامها رسمت العربية السعودية واليمن فى عام ١٩٣٥ الحدود التى تفصل حاليا بين هاتين الدولتين العربيتين .

وهكذا تمكن المستعمرون البريطانيون الذين طبقوا سياسة «فرق تسد» من ان يعيقوا عملية نشوء الدولة فى اليمن واحتفظوا بنفوذهم فى الجزيرة العربية لامد طويل ،

ولم يطرد المستعمرون البريطانيون من اليمن الجنوبى الا فى عام ١٩٦٧ بعد نضال مرير خاضته القوى الوطنية فى جنوب لجزيرة العربية .

محتويات

سفن روسيــة فى الخليــج العربــى
(١٨٩٩–١٩٠٣)

هذا الكتاب هو اول مطبوعة فى التاريخ تنشر مواد الارشيف الحربى البحرى الروسى عن رحلات مراكب روسية الى موانىء الخليج العربى فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وهو يحتوى على عدد من التفاصيـل المثيرة للاهتمـام عن التطور التاريخـى لشعوب المنطقـة وحياتهـا ومعيشتها . زود الكتاب بصور فوتوغرافية فريدة التقطها البحارة الروس فى الخليج ، ومن بينها صور لحكام مسقط ، وعُمان ، ومحمية عمان والكويت .

دار التقدم
قيد الطبع

دميترييف . السادسر من اكتوبر ١٩٨١

يتناول الكتــاب بالتحليل «تجربــة السادات» التى كانت احدى نتائجها سياسة «الانفتاح» فى اقتصاد مصر وتقربها السياسى من الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل . يورد المؤلف عددا كبيـرا من وثائق فترة السبعينـات التى تتضمن شهـادات على الانحطاط السياسى لنظام السادات . يتناول الكتاب لاول مرة بالتحليـل العلمى مواد التحقيق فى قضية اغتيال السادات ، وافادات الشهود .

دار التقدم
قيد الطبع

بوغانوف . حياة بطرس الاكبر
(سلسلة «القرون والناس»)

كرس البروفسور بوغانوف كتابه هذا لحياة ونشاط بطرس الاكبر – اول امبراطور لروسيا باتت روسيا فى عهده دولة عالمية عظمى حيث اتسعت اراضى الدولة الى حد كبير عن طريق اكتشاف ودراسة واستيطان اراض فى شرق وشمال السهوب الاوروبية الآسيوية الفسيحة . اثارت شخصية بطرس الاول واعماله اهتماما كبيرا لدى معاصريه . ومنذ ذلك الحين لم يضعف الاهتمام بهذه الشخصية التاريخية . والكتاب هو ثمرة دراسة مديدة لدائرة واسعة من المراجع والمطبوعات عن بطرس شخصيا ، وعن عهده ، وهو مزود بصور مثيرة للاهتمام ، وموضوع لدائرة واسعة من القراء الذين يهمهم تاريخ روسيا .

دار التقدم
قيد الطبع

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ١٧
موسكو – الاتحاد السوفييتى